مرحلة الشباب

من أهم مراحل العمر

الشباب مرحلة من مراحل العمر، تتمثل فيها القوة والحيوية، والحركة والنشاط. ومرحلة الشباب هذه جعلها الله سبحانه وتعالى وسطا بين مرحلتين، كلتاهما تتسم بالضعف:

* **المرحلة الأولى:** هى مرحلة الطفولة من حين يولد الطفل ضعيفا لا يقدر على الحركة، ولا يستطيع العبير، ولا يعى من الأمر شيئا كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].

* **والمرحلة الأخرى:** هى مرحلة الشيخوخة والكبر، وفى هذه المرحلة تنقلب حال الإنسان من القوة إلى الضعف، فتنقص معلوماته وتضعف بنيته وقواه، كما قال تعالى:

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[2].

فمن وصل إلى هذه المرحلة يكون قد تقلب فى المراحل الثلاث، وانتهى حاله إلى الضعف والنقص والنسيان فلا يعلم – بعد علم – شيئا، كما قال تعالى مستدلا بتلك المراحل والأطوار على البعث، وأنه حق. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[3].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المراحل فى قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ

(١) سورة النحل ٧٨.

(٢) سورة يس ٦٨.

(٣) سورة الحج ٥.

ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾[1]

ومرحلة الشباب إنما تعتبر من أدق المراحل فى حياة الإنسان، لأن الشباب يحملون نفوسا خصبة صالحة للخير والإصلاح، وقلوبا صافية لم تقتحمها ـ بعد ـ عادات سيئة، ولا تقاليد ضارة، ولا ضروب من الأخلاق التى تتراكم فى العادة لدى الكبار، ومن أجل هذا كانوا أسرع فئات المجتمع إلى قبول النصيحة، واستجابة الدعوة، وكان لتوجيههم وإرشادهم أكبر الأثر فى مستقبل حياتهم، خاصة منذ الصغر، قبل أن يشبوا ويكبروا على بعض العادات أو الرذائل التى قد تغشاهم فترة ما من الزمن أو تهب عليهم بعواصف الشك والقلق، فيصبح علاجهم حينئذ صعبا، لأن من شب على شئ شاب عليه.

وفى هذه المرحلة أيضا، كثيرا ما تتحرك العواصف، وتهب من ركودها فى نشاط وحيوية، تتسم بحسن الخلق، والإعجاب بمظاهر البطولة فى سبيل الدين والوطن، كما تتسم بحدة العقل.

ومن نصائح السلف: قول ابن شهاب الزهرى: «لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان، واستشارهم يبتغى حدة عقولهم».

وكان الرسول ﷺ يعنى بتشجيع الشباب، ويكشف عن أهمية دورهم فى الحياة، فيمنحهم الثقة بأنفسهم، إذ يثق بهم فى معضلات الأمور، وأصعب المهام وأخطرها، فيسند إليهم أعمالا عظيمة، ويوليهم القيادة، فقد أعطى الرسول ﷺ: عليا الراية يوم بدر، وسنة يومها نحو عشرين سنه، وأعطى زيد بن ثابت راية بنى النجار يوم تبوك، وسنة نحو عشرين سنه، وأعطى زيد بن ثابت لواء السرية التى جهزها، وسنة نحو عشرين سنة، وقيل تسع عشرة سنة.

□□□

(٤) سورة الروم ٥٤.

رعاية الشباب
فى ضوء القرآن الكريم

إذا نظرنا إلى رعاية الشباب، فى ضوء القرآن الكريم، فإننا سنقف أمام عطاء غامر، ودروس باهرة، تتضافر فى إبراز ما للشباب من أهمية، وتلقى الضوء على كيفية المحافظة عليهم، وتوجيههم وتربيتهم وتعليمهم.

وسنحدد الحديث هنا عن رعاية الأبناء، فى أربعة عناصر:

أولا: إنهم نعمة من الله سبحانه وتعالى، يتمناها الناس، كما تمناها الأنبياء، فلذا يدعون ربهم أن يهبهم ذرية طيبة.

ثانيا: رعاية الله تعالى لهم منذ الإقرار فى الرحم، إلى أن يخرجوا إلى الوجود.

ثالثا: المحافظة على حياة الأبناء، ورعاية طفولتهم والدفاع عنهم، وتوفير السعادة لهم.

رابعا: تربيتهم وتعليمهم.

* **أما بالنسبة للأمر الأول**، وهو أنهم يمثلون نعمة من أكبر النعم التى يتمناها الناس كما تمناها الأنبياء، ويدعون ربهم بها: فترى قول الله تعالى فى وصف عباده الذين شرفهم بالإضافة إليه، وسماهم عباد الرحمن. قال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1].

وقال سبحانه فى شأن زكريا عليه السلام: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2].

وأنهم أيضا زينة الحياة الدنيا، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن هذه النعمة قد ينالها البعض ولا ينالها أخرون، وما يمنح الله لعباده منها قد يكون ذكرا وقد يكون أنثى، وقد

(١) سورة الفرقان ٧٤.

(٢) سورة آل عمران ٣٨.

يكون الأبناء من الذكور والإناث، وقد لا ينجب الرجل مطلقا بأن يكون عقيما، وذلك كله إن دل على شئ فإنما يدل على سعة علمه تعالى وحكمته، وقدرته وإرادته.

قال سبحانه: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[1].

ومن أجل هذا: فإن القرآن الكريم حين يشيرا إلى الأبناء باعتبارهم زينة يتزين وينعم بهم الإنسان، كما يتزين وينعم بالمال، فإنه يردف الحديث بأن الأبقى ثوابا ونفعا، وأن خير ما يتحقق للإنسان من أمل فى الآخرة، مما كان يتمناه ويؤمله فى الدنيا، إنما يكون فى الباقيات الصالحات من أعمال الخير، التى تبقى ثمرتها، فقال سبحانه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[2].

وهداية الأبناء أمنية الأباء التى يدعون بها لهم ولأنفسهم.

قال تعالى فى شأن إبراهيم عليه السلام، وحرصه على هداية بنيه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[3].

ويصور القرآن الكريم أثر الأباء فى الأبناء، حين تصح عقيدتهم ويسلكون الصراط المستقيم، ويتبعون هدى الله فتتبعهم ذريتهم على طريق الإيمان. قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[4].

* **وأما بالنسبة للأمر الثانى**، وهو رعاية الله للأبناء بعد الإقرار فى الرحم فقد وضح القرآن الكريم أطوار الخلق، مبينا كيف كانت رعاية الله للإنسان، منذ اللحظة الأولى التى كان فيها نطفة، ثم تدرج إلى علقة، ثم مضغة.. إلى أن يخرج طفلا ثم إلى أن يكبر، واستدل بهذه الأطوار على كمال قدرته تعالى على البعث.

---

(١) سورة الشورى ٤٩. ٥٠.

(٢) سورة الكهف ٤٦.

(٣) سورة إبراهيم ٣٥.

(٤) سورة الطور ٢١.

قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ﴾[1].

كما راعى الإسلام للأبناء حق الرضاع حتى يضمن للطفل من اللحظات الأولى ما تنهض به حياته، وتقوم عليه. فقال سبحانه: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾[2].

* **وأما عن الأمر الثالث**، وهو المحافظة على حياة الأبناء، والدفاع عنهم، وتوفير السعادة لهم: فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[3].

فقد نهى الله عن قتلهم من أجل فقر موجود، واقع حال. وفى موطن آخر قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾[4].

أى مخافة وقوع فقر.

كما راعى الإسلام ـ فى سبيل المحافظة على حياة الأبناء حمايتهم وصيانتهم من التعرض لهزات الزمن، وتقلب الحياة فأمر الأوصياء أن يخشوا ربهم ويتقوه فى أمر اليتامى، وأن يتصرفوا معهم بما يحبون أن يفعل بذريتهم الضعفاء بعد موتهم، قال الله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[5].

* **وأما بالنسبة للأمر الرابع**، وهو تربية الأبناء وتعليمهم: فقد قدم لنا القرآن الكريم صورة من الوصايا فى إطار متكامل، ترسم للشباب معالم الطريق، وملامح الحياة المستنيرة

---

(١) سورة الحج ٥.

(٢) سورة البقرة ٢٣٣.

(٣) سورة الانعام ١٥١.

(٤) سورة الإسراء ٣١.

(٥) سورة النساء ٩.

المستقيمة التى تظل موصولة بالله وبالمجتمع الذى يعيشون فيه، وهذه الوصايا يقدمها القرآن على لسان لقمان.

يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[1].

إن أولى الوصايا وأول أساس من أسس التربية والتوجيه «العقيدة» التى تتمثل فى توحيد الله تعالى. ثم جاء بالوصية بالوالدين، وهى وان لم ترد على لسان لقمان، إلا أنه أوردها هنا تأكيدا لتصحيح مسار العقيدة، والمبالغة فى عدم التهاون بها، حتى وإن كان ذلك ممن وصى الله بهما بعده مباشرة وهما الوالدان ثم كان التوجيه إلى علم الله الذى أحاط بكل شئ ولطفه الذى يدرك كل دقيق من الأمور وكل خفى عن الناس، ثم الوصية بالصلاة التى تعنى الصلة بالله تعالى، والتى من ثمراتها تهذيب النفس، والانتهاء عن الفحشاء والمنكر ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[2].

ثم تنتقل الوصايا من الصلاة التى بها تتهذب النفوس، وتكمل فى هداها إلى ما يهذب من الغير ويكمل هداه، وذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكل ذلك فى حاجة إلى الصبر والاحتمال واستمرار مواصلة السير. ولا يكفى لتهذيب الغير وإرشاده والتقويم من اعوجاجه مجرد النصيحة، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، بل لابد من المعاملة الحسنة مع الغير، وممارسة القدوة، والتطبيق العملى معه كما لابد أيضا من التواضع والتآلف

(١) سورة لقمان ١٣- ١٩.

(٢) سورة العنكبوت ٤٥.

هكذا سارت بنا هذه الوصايا الحكيمة، ترسل عطاءها وهداها، رعاية للشباب، فى جميع الجوانب، ما يتصل منها بعقيدته وصلته بالله، وما يتصل منها بسلوكه وتهذيبه وتنشئته تنشئة صالحة، وما يتصل منها بعلاقاته الإنسانية فى أسمى صورها العديدة والرشيدة.

* * *

* ويرسى القرآن الكريم أصولا فى الآداب العالية، ومن بينها أدب الاستئذان فيما يتصل بالأسرة والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، وذلك عند دخولهم على الكبار، فى وقت الراحة والخلوة.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وقد روى فى سبب نزول الآية السابقة: أن غلام أسماء بنت أبى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت الآية، وقيل، أرسل رسول الله ﷺ مدلج بن عمرو الأنصارى ـ وكان غلاما ـ وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه: لوددت أن الله عز وجل نهى أباءنا وأبناءنا وخدمنا ألا يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبى ﷺ فوجده وقد أنزلت تلك الأية السابقة.

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم أروع الأمثلة فى أنبل نموذج للعفة مع نبى الله يوسف ـ وهو شاب – فلقد تعرض لفتنة الجمال مع امرأة العزيز.

قال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

كما ضرب المثل الرفيع بنبى الله موسى عليه السلام فى مروءته ونجدته مع بنات

---

(٢) سورة النور ٥٨ – ٥٩.

(١) سورة يوسف ٢٣.

شعيب، ويشيد القرآن بقوته وأمانته إذ يقول: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[1].

❑❑❑

(٢) سورة القصص ٢٣- ٢٦.

رعاية الشباب
فى ضوء السنة الشريفة

أولا ـ جانب التربية:

لقد عنى الرسول ﷺ برعاية الشباب عناية فائقة، باعتبارهم طلائع الأمة، وعدتها فى الجهاد، وفى العمل والنهوض، وباعتبارهم رجال المستقبل، وأسبق فئات المجتمع إلى قبول دعوات الإصلاح.

ومن ناحية أخرى باعتبارهم قوة قد تتأجج بالخير إذا وجهت إليه، وقد تنزع إلى الشر، إذا تركت وأهملت.

ومن هنا حرص الرسول ﷺ على تنشئة الأبناء على أساس من العقيدة الصحيحة، والعبادة السليمة، وتقوى الله تعالى منذ نعومة أظفارهم، حتى إذا شبوا وكبروا كانوا متعودين على العبادات، وعلى طاعة الله تعالى، وكانت سائر أعمالهم وعلاقاتهم بغيرهم نابعة من محيط إسلامى نقى.

* وأول ما ينبغى أن يتعلمه الأبناء من العبادات – بعد معرفة الله تعالى – هو إقامة الصلاة.

قال صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع»[1].

فيجب على المسلم أن يوجه ابنه ويأمره بالصلاة عقب تمام سبع سنين إذا كان الطفل مميزا، وإلا فعند التمييز، ويضربه ضربا غير مبرح على تركها وهو ابن عشر سنين، أى بعد تمامها، واعتمد جماعة من الشافعية أن الضرب يجب فى الشروع فى العاشرة، لأن الضرب عقوبة، والعشر من احتمال البلوغ بالاحتلام، وفى هذه السن يقوى عوده ويحتمل.

* ولما كان لتربية الشباب أثرها البالغ فى الشباب أنفسهم، وفيمن يؤثرون فيهم بعد ذلك جيلا فجيلا، كانت نظرة الإسلام إلى تربية الشباب وتوجيه القوى الكامنة فيهم بعيدة المدى، وبحيث تقدم تربيتهم على أى عمل أخر حتى ولو كان صدقة.

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»[1].

وتجعل هداية الوالد لولده، وتوجيهه له التوجيه السديد أفضل هدية يقدمها الآباء للأبناء.

قال ﷺ: «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن»[2].

ومن أهم ما ينبغى أن يغرس فى نفوس الأبناء، من فضائل الإسلام وأدابه: خلق الصدق، فإذا ما نشأوا عليه وألفوه منذ الصغر كبروا عليه، فكانوا صادقين صالحين فى سائر أقوالهم وأعمالهم.

عن عبدالله بن عامر قال: دعتنى أمى يوما ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا – فقالت: تعال أعطك، فقال لها ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرا. فقال لها: «أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة»[3].

* ومن أجل أن يشب الأبناء على سائر معانى الإسلام وفضائله، كانت الرعاية بغرس خلال البر والخير والرجولة فيهم منذ صغرهم لها أهميتها، ومن ذلك: تحية الإسلام، وهو «السلام».

عن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: «كان رسول الله ﷺ يفعله»[4].

ولم تدع السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام جانبا من جوانب التربية والرعاية إلا واشتملت على وصايا وتعاليم فيه ترقى بالشباب وتهذب من سلوكهم، ومن ذلك: جانب قد يغفل عنه بعض الآباء فى تربية أبنائهم، بدافع العاطفة والرحمة والإشفاق، وهو أدب المائدة، وعندما يتناول الأبناء الطعام، هنا يوجه الرسول ﷺ النظر إلى ضرورة مراعاة البدء فى الطعام باسم الله، وأن يأكل الإنسان مما يليه.

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه البخارى ومسلم.

عن أبى حفص عمر بن أبى سلمة ربيب رسول الله ﷺ قال: كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدى تطيش فى الصحفة، فقال لى رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتى بعد»[1].

ويوصى الإسلام باليتيم، لأنه فى حاجة ماسة إلى العناية والرعاية والرحمة.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[3].

وقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما»[4].

كما خص الإسلام البنات بمزيد رعاية وإشفاق، باعتبارهن ضعيفات، وباعتبار أهميتهن فى تكوين الأسرة، فالأسرة أساس المجتمع، والفتاة عندما تكبر وتصبح أما فإن أهميتها بالغة، وفى أحضانها تنمو عواطف الأبناء، وتترعرع أخلاقهم، لذا كان لها مزيد عناية واهتمام، عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندى شيئا غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبى ﷺ علينا فأخبرته فقال: «من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن كن له سترا من النار»[5].

وهكذا، يكون جانب التربية، كواحد من جوانب رعاية الشباب فى ضوء السنة المشرفة.. ورأينا أنه يقوم على ترسيخ أسس العقيدة والدين الحق فى قلوب الشباب

(١) رواه البخارى.
(٢) سورة الضحى ٩ –١٠.
(٣) سورة الماعون ١ . ٣.
(٤) رواه البخارى.
(٥) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

وعقولهـــم، وأخذهـــم بمعانى الإســـلام وقيمه، وتربيتهم تربية صحيحة، يســـتقيم معها سلوكهم وسيرهم فى الحياة.. ثم ننتقل بعد ذلك إلى الجانب الأخر وهو تحمل المسئولية، أو بعبارة أخرى: جانب العطاء، فإن الجانب السابق هو جانب الأخذ، تتمثل فيه التوجيهات والنصائح، والتربية الصحيحة المستقيمة.

ثانيا ـ جانب تحمل المسئولية:

وتقع على عاتق الشـــباب مســـئولية كبيرة، تبدأبنفسه وشبابه، فإن المرحلة التى يمر بها الشـــباب من حياتهم يجب عليهم أن يغتنموها، قبل أن يغزوهم الهرم والمشـــيب، فيضعفوا عن القيام بمهام الحياة التى نيطت بهم، وتفلت منهم المرحلة الذهبية فى تحمل المســـئولية وفى عطائهم لأمتهم الإســـلامية، وقد حثت الســـنة الشـــريفة على اغتنام هـــذه المرحلة قبل ضياعها، كما يجب اغتنام غيرها من فرص الحياة الكريمة التى يمكن أن نثرى بها قوة الأمة وإنتاجها، والبذل والتضحية والإنفاق والعمل والســـعى فى كل دروب الحياة، يجب اغتنام كل هذا.

عن عمر بن ميمون قال: قال رســـول الله ﷺ: «اغتنم خمســـا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»[1].

والإنسان مسئول عن هذه المرحلة من حياته، مرحلة الشباب، فيم أبلاها، وكيف قطعها، إنها فترة القوة والنشاط والحيوية، ويمكن للإنسان أن يستغل شبابه الفتى فى كثير من أوجه الحياة النافعة، فى الخير والإصلاح، فى التقوى والعمل الصالح، فى الإنتاج فى كل ما يدفع بموكب الحياة الإنسانية قدما إلى الأمام، وفى كل ما يجعل الحياة تسعد وتزدهر. إنه مسئول عن كل ذلك، فقد منحه الله تعالى هذه القوى الدافقة، ليستغلها فى خيره وخير الإنسانية، أما إن ســـخرها فى غير ما ينفع نفســـه ولا ينفع المجتمع، وتباهى بقوته، ووجهها للفحشاء والمنكر، أو الظلم والعدوان، أو لمصلحة نفســـه الخاصة، فغلفها بالأنانية والأثرة فإنه مسئول أيضا عن كل ذلك.

---

(١) رواه أحمد.

عن أبى بردة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»[1].

وقد أعد الله تعالى منزلة عالية للشباب الذى ينشأ فى طاعة الله، إنه من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[2].

والإسلام إذ يحمل الشباب المسئولية، ويكلفه بالواجب، إنما يحمله ذلك بعد اكتمال نضجه، ولا يحاسبه إلا بعد بلوغه، أما قبل ذلك فقد رفع القلم عنه.

قال ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبى حتى يكبر»[3] وفى رواية عن على وعمر بلفظ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم»[4].

* وقد حرص الرسول ﷺ على توجيه الشباب توجيها سديدا، وتحميلهم مسئولية الحياة بالزواج وتكوين الأسرة الذى يدفع إلى الكسب والعمل، فوجههم توجيها يملك عليهم أقطار نفوسهم، ويكبح جماحهم، ويهديهم سواء السبيل فناداهم بالوصف القائم فيهم، الداعى لهم أن يصيخوا السمع ويرهفوا الإحساس إلى ما سيلقى عليهم بعد من توجيه، فناداهم بوصف الشباب قائلا: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج

(١) رواه البزار، والطبرانى، والترمذى.
(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجة والحاكم.
(٣) رواه أحمد وأبو داود والحاكم.
(٤) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

فإنــه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يســتطع فعليه بالصــوم فإنه له جاء» ففى الزواج العصمــة من الزلل والمحافظة من الانزلاق فى وحل المعصية أو التردى فى مهاوى الفســاد فإنه أغض للبصر فيكفه عن النظر إلى ما حرم الله وأحصن للفرج، فتكون به العفة وسلامة الخلق والدين وحماية الأعراض، هذا بالإضافة إلى ما فيه من السكن والمودة والرحمة.

وفى طريق تحمل المســئولية، ينبغى أن يكون اتجاه الشــباب على أســاس من العقيدة الصحيحة، استعانة بالله وتوكلا عليه.

عــن ابــن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قــال: كنت رديف رســول الله ﷺ يوما فقــال: ياغلام إنى أعلمك كلمات: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا اســتعنت فاســتعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف»[1].

* وفى سبيل تحمل الشباب للمسئولية، تركز السنة الشريفة على قيام كل شاب قادر بالعمل، وأداء الواجب المنوط به، والسعى على المعاش، فيقوم بالعمل الذى يعف به نفسه، ويــؤدى ما وجب عليه حيال أهله وعشــيرته، وإن كان له أبــوان كبيران وهكذا... بل إن مثل هذا العمل الشريف الرائد، ليعتبر فى سبيل الله، له من المثوبة والمنزلة ما للمجاهد.

مر رجل على رسول الله ﷺ، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جده ونشاطه، فقالوا: يارســول الله، لو كان هذا فى ســبيل الله؟ فقال الرســول: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان»[2].

وقد وضح الرسول ﷺ للشاب الذى جاءه يستأذنه فى الجهاد، وضح له قيمة مسئولية العمل من أجل بر الوالدين فقال له: أحى والداك؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد.

* ويتفرع جانب المسئولية – فى الشباب – من ناحية السعى والكسب، والجد والعمل

(١) رواه الترمذى.

(٢) الترغيب والترهيب.

إلى ناحية الجهاد فى سبيل الله، والرمى فى سبيل الله، وتعلم الوسائل المساعدة على ذلك. فيقول ﷺ: «علموا أبناءكم السباحة والرماية»[1].

ويوضح قيمة الصناعة الحربية التى تكون فى سبيل الله، ومن أجل إعلاء كلمة الحق، وقيمة الرماية، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب فى صنعته الخير، والرامى به، ومنبله، وارمـوا واركبوا، وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا، ومن ترك الرمى بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها، أو قال: كفرها»[2].

وعن سـلمة بـن الأكوع قال: مـر النبى ﷺ على قـوم ينتضلون فقـال: «ارموا بنى إسماعيل، فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بنى فلان، فأمسـك أحد الفريقين بأيديهم، فقال لهم الرسول ﷺ: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمى وأنت معهم، فقال: ارموا وأنا معكم جميعا»[3].

* ثم يتفرع جانب المسئولية ـ فى الشباب ـ إلى ناحية ثالثة، هى الناحية الإنسانية، وتلك الناحية تتمثل فى التعاون ومساعدة الضعفاء وكبار السن.

يقول الرسـول صلوات الله وسـلامه عليه: «ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه»[4].

ذلك أن من المعلوم أن الصحة نعمة من النعم يجب أن يؤدى صاحبها حقها من المساعدة للضعفاء، ومعاونة كل محتاج وكبير.

يقول الرسول ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[5].

---

(١) الديلمى وابن منده

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه البخارى.

(٤) رواه الترمذى عن أنس.

(٥) رواه البخارى.

انحرافات الشباب
أسبابها ومعالجتها

تظهر أسباب انحراف الشباب تدريجيا على حسب نشأته المتدرجة من المنزل، إلى الشارع، إلى المدرسة، إلى المجتمع، ثم إلى وسائل الإعلام...

* أما بالنسبة للمنزل: فترجع أسباب الانحراف منه إلى عدم تمثل الوالدين للقيم الدينية، وعدم تمسكهم بآداب الإسلام قولا وعملا وتطبيقا، وتربية لأبنائهم، والبيت هو أول مدرسة تنمو فيها عواطف الشاب، وميوله وغرائزه، وعلى الأبوين تقع المسئولية الأولى بالنسبة للأبناء، فإذا ما رأى الابن أن الأبوين منصرفان عن التعاليم الإسلامية ويهملان شأنها، ولا يعنيان بأخذه بها وتربيته عليها، انطلق من البيت ومعه الميول والنزعات القابلة لأى انحراف بعد، لأنه لم يأخذ الحصانة الأولى من البيت.

* ومن هنا فإنه إذا خرج للشارع فوجد انحرافا ما، أو سلوكا غير صحيح من بعض الشباب يقاربونه فى السن، فإنه لا يجد بأسا فى تقليدهم أو السير معهم، ولا يشعر فى نفسه بأى امتناع عن سلوك الشر أو أى اعتراض من نفسه، فيسلك ما يسلكون، ويسير فيما يسيرون فيه، بل قد يصادفه فى الشارع أو فى الأماكن العامة مثلا بعض المظاهر المخالفة للفضيلة، فلا يجد فى نفسه إنكارا لها، بل ربما استهوته تلك المخالفات فأشعلت فى نفسه الرغبة فى الشر أكثر.

* وإذا ما ذهب بعد ذلك إلى المدرسة التقى بمن فى سنه فيجد منهم نماذج مختلفة، وطباعا متباينة، فيها الخير، وفيها الشر، فإذا ما زحف الشر عليه، فمن المفروض أن فيما يتلقاه من دروس وفيمن يلتقى بهم من أساتذته من قدوة، كل ذلك يكون من المنتظر منه أن يهذب من سلوكه، وأن يجعله يتخلى عن رذائله، ويتحلى بفضائل جديدة ولكن ضعف التربية وقلة المواد الدينية فى بعض المدارس، وعدم كفايتها للقيام بالدور الهام الذى ينبغى أن يكون موجها ومربيا، كل ذلك لا يكون من شخصية الشباب النفس الصالحة المهذبة، التى تسير دوما إلى الخير.

* ثم إذا تنقل بعد ذلك فى جوانب المجتمع الأخرى، كالنادى أو السوق أو أى موقع أخر، لم يجد فى تلك المواقع من أسباب الخير شيئا، بقدر ما يرى من أسباب الشر، ففى المعاملة من بيع أو شراء يصادف المخالفات والبعد عن الحقيقة، وفى النادى وفى غير ذلك من الأماكن.

* وإلى جوار ذلك ما تقوم به المدارس الأجنبية فى بعض البلاد الأخرى من دور فعال، وما تقوم به الإرساليات التبشيرية لتشكيك الشباب المسلم فى عقيدته، وأيضا فتح المستشفيات والمستوصفات، ودور التمريض وغير ذلك، وإشاعة الدعاية الكاذبة للثقافة الغربية وإبرازها فى مظهر خلاب.. ومع هذه المظاهر تسير المذاهب الهدامة جنبا إلى جنب لنشر المبادئ الفاسدة، كالوجودية والماسونية والبهائية والقاديانية وغيرها فى بعض البلاد.

ولا يقتصر الأمر على ما سبق، بل يساعد على كل ذلك «الفراغ» الذى يعيش فيه بعض الشباب، والذى تهيأ لأن يملأ بأى جديد براق أو أى شئ فيه تسلية له.

* هذا بالإضافة إلى ما لحق بالأدب نثرا وشعرا أو قصة ومسرحية، من البعد عن الآداب الرفيعة، والقيم العالية، وهبوطه وتشويه فكره بالإباحية فى مختلف الأعمال الأدبية وإشاعة مؤلفات بعض الأدباء الإباحيين فى هذا الصدد، كما هو الحال فى بعض كتاب الأجانب وأصحاب الأقلام المسمومة.

والشيطان وراء أزمة الشباب بالمرصاد، إنه دائب السعى بشتى المظاهر والمحاولات للقضاء على القيم الدينية.

هذا وقد ظهر من تلك الأسباب، ظواهر خطيرة متعددة الأشكال، برزت من بينها النزعة العدوانية على الأنفس والأموال والأعراض. ثم الاستجابة إلى الرغبات اللاإنسانية، من الخيانة والغش والمجاهرة بالمعصية، والانحراف، وعقوق الوالدين، وعقوق الوطن.

* وظاهرة القمار والمخدرات، وأحيانا يصاب بعض الشباب باليأس حين تضيع من يده الحيل، وينتابه الشك، وتطغى عليه الغرائز فى جموح عجيب، يفقده عقله وعقيدته، مما يدعوه أحيانا إلى التخلص من الحياة، والانسحاب منها فى صورة بعيدة عن الدين والإنسانية والتعقل، وذلك فى ظاهرة الانتحار.

وأحيانا تستهويه المظاهر الكاذبة الذميمة من شباب الغرب، فيحاول تقليدهم، حين يتشبه بالنساء، أو حين تتشبه النساء بالرجال.

وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[1].

وقد يظهر فى لبس ما تلبس المرأة، أو تظهر المرأة بما يلبس الرجل.

وقد لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل[2].

* هذا وللأيديولوجيات الأجنبية، والتبعية الفكرية الأثر الكبير فى تسرب الفكر الأجنبى الدخيل، هذا إلى جانب أن تلك الأيديولوجيات الأجنبية وضعت لمشاكل خاصة لا وجود لها فى مجتمعاتنا الإسلامية، لا سيما وقد دلت التجارب العملية فى بيئاتها على إفلاسها فى علاج ما وضعت له، بل إنها قد أوجدت مشاكل اجتماعية واقتصادية جديدة، هذا وإن بريق تلك الأيديولوجيات بريق خادع لا يمثل إلا الطعم، للإغراء بالوقوع فى مخالب الأخطبوط العالمى[3].

* والإسلام لا يعادى العلم، أو التقدم الصناعى، بل إنه دين العلم، ولكن يجب أن يتجه بالعلم إلى ما فيه سعادة البشرية وكرامتها وعمارتها، لا إلى ما فيه الهدم والدمار أو ضياع الكرامة الإنسانية.

ويقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى فى رسالته: «تحديات العصر الجديد والشباب».

«ولتلقوا نظرة عابرة إلى هذا العصر الجديد الذى يقال عنه بمنتهى الاعتزاز والمباهاة، إنه عصر التقدم والرقى، إنه عصر الفكر المتنور، ومما يمتاز به هذا العصر هو تقدمه العلمى وهو على كونه أمرا جديرا بالتقدير والإجلال، يستغل استغلالا فاحشا فى دمار البشرية، وهلاكها وبوارها وشقائها أكثر من أن يستغل فى سعادتها وصلاحها.

وبواسطة هذا التقدم العلمى، يبتكر اليوم لإبادة الشعوب بأسرها، أخطر ما يمكن من الأسلحة والأدوات، ويعد لتنكيل الإنسان وتشويه شخصيته من المعدات ما لامثيل له فى

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) خمس رسائل إلى الشباب والمسلم المعاصر للدكتور محمد البهى دار الفكر ببيروت ص٤٢ وما بعدها.

تاريخ الشـيطانية، وتكتشف الجاسوسية أسـاليب لم يبق أمامها أى معنى لحياة الإنسان الخاصة، وتكرس الدراسـات لتوليد الإنسـان بطريقة يتولد الإنسان بعدها فى معامل العلم بدون اتصال الأب والأم بطريقة فطرية.

وطبعا المتولدون بتلك الطريقة العلمية سـوف لا ينتمون إلى أسـرة من الأسـر، ولا يميل بعضهـم إلى بعض، أو إلى غيرهم من الإنسـان ميلا فطريـا، ولا يرتبطون بماض له التقاليد المتوارثة، أو البذور الممتدة، وسـوف تجهز المصانـع الأوادم من كل لون من الألوان، وكل صورة من الصور، وكل شـيمة من الشـيم، وكل قابلية من القابليات، حسـب مبدأ الطلب والعرض فى الأسواق، وتبيعهم للأشخاص أو الشركات والحكومات، بالمفرد أو بالجملة.

وهكـذا يريد تمرد العلمـاء الملحدين أن يبلغ من التدهور نهايته، ليفتح على البشـرية أحدث عصور الاسـتعباد وأسـوأها، ينحط فيه الإنسان إلى درجة الأغنام والأبقار، بل لعل المصانع سـوف تعد للأنظمة المناوئة لكرامة الإنسانية فى العالم أوادم عند الطلب، يكونون أشـد افتراسـا من الوحوش الضارية، هذا هو التقدم العلمى الذى يفتخر به غاية الافتخار، ويدعى أنه قد سما بالإنسانية إلى آفاق السماء، مع أنه من الحقيقة أنه قدر ما رفع الإنسان قدر ما هبط به، وأنه جلب على الإنسان الويل والثبور، أكثر مما وفر له الخير والحبور»[1] أ.هـ

□□□

(١) تحديـات العصـر الجديـد والشـباب للأسـتاذ أبـو الأعلـى المـودودى ص ١٣ ط المكتبـة العلميـة لاهور ـ باكستان.

خطوات لعلاج الشباب وحمايتهم من الانحراف

إن أولى خطوات حماية الشباب من الانحراف، وعلاج ما قد يعتريه من ميل أو خطأ، تتمثل الخطوات الأولى فى الأسرة وبين الأبوين، حتى يتشرب منذ الصغر روح التدين، وأثار العقيدة الصحيحة والسلوك النقى، بالقدوة من ناحية، وبالتوجية من الأبوين من ناحية أخرى، ومن المعلوم أن لنصائح الوالدين أثر كبيرا، فهى خلاصة عمر. ووليدة تجارب، يقول موسى بن سعيد العنسى لولده:

واجعل وصاتى نصب عين ولا ... تبرح مدى الأيام من فكرتك
خلاصة العمر التى حنكت ... فى ساعة زفت إلى فطنتك
فللتجارب أمور إذا ... طالعتها تشحذ من غفلتك
فلا تنم عن وعيها ساعة ... فإنها عون إلى يقظتك

ثم بعد ذاك ما ينبغى أن تتضمنه خطبة الجمعة من توجيه أسبوعى رشيد، يتم فيها حصر الشكوك والأوهام التى تساور الشباب وعلاجها، ومحاولة محو الأثرة والأنانية، وسائر الرذائل الأخرى، والعناية بغرس الفضائل الإسلامية، من التعاون على البر والتقوى، وحب الخير والبذل، حتى يشبوا على روح التعاون والتعاطف والبذل.

ومن أهم ما ينبغى التركيز عليه فى تلك المرحلة: تربية الضمير الدينى، والعناية باتباع التعاليم الدينية الصحيحة، النابعة من العقيدة الصحيحة، وأداء العبادات وإبراز ما تتضمنه من النتائج والآداب وسائر الآثار الحميدة، فإن المرجع فى عظمة شباب السلف، إنما كان يتمثل فى سلامة العقيدة والنشأة الصالحة، فى البيئة الصالحة، فى الأسرة وفى المجتمع.

كما ينبغى أن يعنى المربون والمصلحون بتنمية الجوانب المتعددة فى الشباب، وتقوية الاستعدادات.

وأهم ما يجب أن يتسلح به الشباب فى معركة الحياة «الصبر»، ذلك لأنه سيواجه فى

الحياة صعابا وعقبات، ولا يكفى فى حلها ما مارسه الشباب فى مدارسهم، ولا فى تجارب الطفولة، فهم إذا فى حاجة إلى صبر وتحمل، وأشد تلك العقبات: «هوى النفس»[1].

وبالجملة: فإن حماية الشباب من الانحراف تتمثل فى إزالة تلك الأسباب الماضية للانحراف التى سبق الحديث عنها، وسد المنافذ أمام التيارات المادية الوافدة، التى تحاول أن تستولى على عقول الشباب، والتى هى نتيجة جهود المبشرين والاستعمار، وإنها لمحاولة ظالمة تتجنى على الإسلام وأبناء المسلمين، وتعمل على رسم صورة مشوهة للإسلام فى عقول الشباب، فإن الاستعمار يعلم تمام العلم أن عدوه الأول هو الإسلام، يقول أحد المستعمرين فى إحدى خطبه وهو يحمل المصحف بيده: «لن يقر للاستعمار قرار ما دام هذا المصحف بين أيدى المسلمين».

□□□

(١) الإسلام فى حياة المسلم للدكتور محمد البهى.

نماذج من
شباب الإسلام

لقد كان رسـول الله ﷺ هو القدوة الحسنة فى قوله وفعله وسلوكه، وفى سائر مراحل حياته، فى الطفولة، وفى الشباب، وفيما بعد المبعث، كلها حياة نقية خالصة، لم تشبها شائبة، وما عرف بين القوم إلا بالأمين.

ولقـد تخرج من الرعيل الأول نماذج كريمـة، أخذت عنه واقتدت به، واهتدت بهدى الله سبحانه وتعالى. ومن هؤلاء:

على بن أبى طالب:

على بن أبى طالب كرم الله وجهه، لقد قام – وهو شاب – بدور فدائى عظيم، حين قدم نفسـه قربانا فى سـبيل عقيدته، وفى سبيل الله ورسوله، لقد بات – ليلة الهجرة – على فـراش رسـول الله ﷺ، مع أنه كان على علم بمدى الخطـر الذى كان يحدق به من كل جانب، قائلا: «والله ما أبالى أسقطت على الموت أم سقط الموت على».

سعد بن أبى وقاص:

وهـذا هو سـعد بن أبى وقاص نموذج فذ فـى التضحية من أجـل العقيدة، حتى وإن تعارضت مع أعز الناس عليه، ها هو ذا لم يبلغ من العمر عشرين سنة، يقول: «لما أسلمت وكنت رجلا بارا بأمى قالت: ياسـعد ما هذا الدين الذى أحدثت؟ لتدعن دينك أو لا أكل ولا أشـرب حتى أموت فتعير بى! فقلت: لا تفعلى يا أمى، فإنى لا أدع دينى، ومكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب، فأصبحت وقد جهدت، فقلت: والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفسـا نفسـا ما تركت هذا الدين بشئ. فلما رأت ذلك أكلت وشربت، فأنزل الله سبحانه وتعالى: «وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا».

عبد الله بن عباس:

وهــذا عبد الله بن عباس كان فى شــبابه يمثل الــذكاء الحاد، والعلم الجم، يقول ابن عبــاس: كان عمــر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ويأذن لى معهــم، فوجد بعضهم من ذلك، فقالــوا: يــأذن لهذا الفتى معنا، ومن أبنائنا من هو مثله، فقال لهم عمر: إنه من قد علمتم ـ أى من جهة ذكائه ومعرفته ـ قال: فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم، فســألهم عن هذه السورة: «إذا جاء نصر الله والفتح» فقالوا: أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم إذا فتح عليه أن يســتغفره وأن يتوب إليه، فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قلت: ليس كذلك، ولكــن أخــبر الله نبيه حضور أجلــه فقال: «إذا جاء نصر الله والفتــح» فذلك علامة موتك «فســبح بحمد ربك واســتغفره إنه كان توابا» فقال عمر: تلومونني عليه؟ ثم قال: «ما أعلم منها إلا ما تقول»[1].

وهؤلاء صفوة مختارة من شباب الإسلام أدوا مهاما فى غاية التضحية، وضربوا بها أروع الأمثلة، إنهم: عبد الله بن أبى بكر، وعامر بن فهيرة، وأسماء بنت أبى بكر.

عبد الله بن أبى بكر

فأما عبدالله بن أبى بكر: فقد قام ـ فى ليلة الهجرة ـ بدور الاســتطلاع، فجمع أخبار الأعداء، وهى مهمة من أخطر ما يكون[2].

عامر بن فهيرة:

وأما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر: فقد مثل الجندية الإسلامية فى أسمى معانيها وأدق صورها، حيث قام بتوفير الأمان، فرعى غنم الصديق، ليروح إلى الغار فى الليل، ليأخذوا حاجتهم منها، ويعفى بالغنم آثار المشى إلى الغار، فيضل عنهم الأعداء.

أسماء بنت أبى بكر:

وأما أسماء بنت أبى بكر: فقامت بدور الفتاة المسلمة، وأدت واجب التضحية على أعظم ما

(١) رواه البخارى. القرطبى ٢٣٢/٢٠.

(٢) انظر كتابنا الهجرة النبوية.

يكون، فقد أتت بسفرتهما – أى زادهما – ونسيت أن تجعل لها عصاما، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة، فإذا ليس لها عصام، فتحل نطاقها ثم تعلقها به لذلك. سميت ذات النطاقين[1].

أبو دجانة:

* ومن شباب الإسلام، من قدم جهودا ضخمة، فى ميدان القتال، وفى ساحة الجهاد فى سبيل الله، فأبلى بلاء حسنا، ذلكم هو: أبو دجانة، ففى يوم أحد أخرج الرسول ﷺ سيفا، فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجل فأمسكه عنه، حتى قام إليه أبو دجانة، فقال: وما حقه يارسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحنى، قال: أنا أخذه يارسول الله بحقه، فأعطاه إياه، وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت، وحين رأه الرسول ﷺ يتبختر بين الصفين قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن».

الزبير بن العوام:

* وروى عن الزبير بن العوام وكانت سنه إذ ذلك أربعا وثلاثين سنة يقول: غضبت فى نفسى حين سألت رسول الله السيف وأنا ابن عمته، فمنعنيه، وأعطاه أبا دجانة، فقلت: والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة الموت، فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله، قال الزبير: فقلت: الله ورسوله أعلم[2].

الخنساء:

ومن النماذج المشرفة فى هذا المجال أيضا: الخنساء وأبناؤها وذلك فى وقعة القادسية، عندما هم المسلمون بفتح فارس، وقد حضرت الخنساء، وأوصت بنيها الأربعة ليلا بقولها يابنى إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذى لا إله إلا هو إنكم بنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار

(١) ابن هشام ٢/١٣٠.

(٢) من اخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد محمد يوسف.

الآ خـــرة خـــير من الدار الفانية اصبروا وصابروا واتقـــوا الله لعلكم تفلحون. فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ســـاقها وجللت نارا على أرواقها، فتيمموا وطيســـها، وجالدوا رسيسها تتقربوا إلى الله، وتظفـــروا بالغنم والكرامة، فـــى دار الخلد والمقامة. فلما أضاء لهم الصبح، باكروا إلى مراكزهم، فتقدموا واحدا بعد واحد، ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية أمهم لهم حتى قتلوا عن آخرهم فلما علمت بمصرعهم جميعا قالت: الحمد الله الذى شـــرفنى بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته.

ومن خلال تلك النماذج الســـابقة نســـتطيع أن نتعرف على ما كان عليه شـــباب سلفنا من صبر ومصابرة نتيجة إيمان عميق، وعقيدة صحيحة، وسلوك مستقيم، وما اضطلعوا به من جهاد مبرور فى سبيل الحق، ومن أجل رفع راية التوحيد مرفوعة فوق ربوع الأرض.

لقـــد مثلوا نمـــاذج متنوعة، فى جوانـــب متنوعة، فمنها نماذج فـــى الجهاد، وأخرى فـــى العلم والتعليم والدعوة إلى الله ســـبحانه وتعالى، إلى غـــير ذلك من المثل والمبادئ والقيم والأهـــداف التـــى ترسموا فى ســـبيلها معالم الدين القيم الذى رباهم على الرشـــد والهدى، وأنشأهم على العزة والكرامة، ووجههم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

□□□

الرشوة محرمة ومن الكبائر

الرشـــوة، محرمـــة، ومن الكبائر ولا تخرجهـــا نِيّةُ صاحبها عن كونها رشـــوة فما دام دافعها، أراد أن يأخذ حق أخيه وهو ما ليس له حق فيه، فهى رشوة محرمة، لأنه فَوّت علـــى أخية الذى أخذ حقه أو مكانه، الفرصة، واســـتأثر بذلك لنفســـه، لأنه يمتلك مالا يدفعه، وأية رشوة أخطر من أخذ مكان الغير فى أداء الفريضة؟ وتلبيس الحق بالباطل؟

إننا لا نريد من الناس أن يســـيئوا فى مقام الإحســـان.... وليحذر من يتقدم للعبادة أن يرتكب إثما وهو يريد أن يأتى عبادة..

وأذكر هنا النص الذى أورده ابن قدامه، فى كتابه النفيس «المغنى» «الرشوة لأداء الحج أن كان فى الطريق عدو يطلب خفارة، فقد قيل لا يلزمه السعى حينئذ إلى الحج، وإن كان المبلغ الذى سيدفعه يسيرا لأنها رشوة فلا يلزم بذلها فى العبادة، وقيل: إن كان ذلك مما لا يجحف بماله لزمه الحج» انتهى (المغنى لابن قدامه ٦٨/٣، ٢١٩/٣).

«والرشـــوة المحرمة ما توصل بها إلى إبطال حق أو تمشـــية باطـــل أما ما وقع للتوصل لحق أو دفع ظلم فليس برشوه منهية» من كتاب «فيض القدير شرح الجامع الصغير للإمام المناوى».

وأحب أن أنبه الكثيرين الذين يبررون لأنفسهم الرشوة القائلين بأنها ما دامت من أجل الوصـــول إلى الحق لا تكون رشـــوة ولا إثم عليها للدافع بـــل الإثم على الأخذ – أحب أن أنبههـــم إلى المحاولات الكثيرة لتبريرها، وزعم كل صاحب حاجة بأنه على حق، وحب الشـــئ يعمى ويصم، وصاحب الحاجة دائما – يـــرى الحق فى صفه، وغالبا ما يزعم أنه يريد الوصول إلى حقه وتصور له نفسه الأمارة بالسوء أنه صاحب حق وينسى أن أخاه الذى ســـيأخذ مكانـــه هو ـ فى الحقيقة ـ صاحب الحق لهذا كلـــه كان الحديث النبوى واضحا وصريحا «لعن الله الراشى والمرتشى والرائش» رواه أحمد والترمذى والحاكم.

وقال الإمام الذهبى – عند تعليقه على هذا الحديث: «فيه أن الرشوة كبيرة أهـ فيض القدير» جـ ٥ ص ٢٦٨.

وإنما حكم عليها أنها من الكبائر، لما ورد فى شأنها من اللعن الذى هو الطرد من رحمة الله تعالى....

وإنما كان الوعيد واللعن على الرشـوة وعلى الوسيط القائم بالتوسط بين الدافع والآخذ، لأن الرشـوة تقوم على تبديل أحكام الله، وهى خصلة نشأت من اليهود المستحقين للعنة، فإذا سـرت إلى المسـلمين اسـتحقوا ذلك وقد ورد النهى عن الرشوة حتى فى التوراة: ففى السفر الثانى منها: «لا تقبلن الرشوة، فإن الرشوة تعمى أبصار الحكام فى القضاء» أ هـ.

وقـد بلغ تأكيد النهى عن الرشـوة والتحذير منها، ومن الاقـتراب من حماها أن حرم الإسـلام الهدية التى تكون فيها شـائبة الرشـوة، بأن يقصد بها صاحبها اسـتمالة قلب مسئول، أو لأجل منفعة خاصة، أو التخلص من تبعه أما الهدية الجائزة فهى التى تكون بـين الأقارب والأرحام، أو بين الاصدقاء أو الجيران بشـرط أن تكـون خالصة المودة لله، وليست لعلة أو لمنفعة خاصة....

أما الهدايا التى تكون لعلة وغرض وفيها شائبة جلب المصلحة أو أخذ ماليس للإنسان فيه حق فتلك هى الرشوة المقنعة التى قاومها الرسول ﷺ فى أول مهدها: عن أبى حميد السـاعدى أنه قال: اسـتعمل النبى ﷺ رجلا من الأزد يقال له: ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدى إلى، قال: فقام رسـول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثـم قال: «أما بعد، فإنى أسـتعمل الرجل منكم على العمل ممـا ولانى الله فيأتى فيقول: هـذا لكم، وهذا هدية أهديت لى، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا والله لا يأخذ أحد منكم شـيئًا بغير حلة إلا لقى الله يحمله يوم القيامة: فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شـاة تيعر ثم رفع يديه حتى رئى بياض ابطيه، يقول: اللهم قد بلغت» رواه البخارى ومسـلم فعلى من كان فى منصب رفيع، أو مركز مرموق، أو كانت فى يده بعض حاجات الناس أن ينأى بنفسـه عن مثل هذه الهدايا المقنعة، يوضح ذلك ما أخرجه ابن سعد من طريق فرات بن مسلم قال: اشتهى عمر ابن عبد العزيز التفاح، فلم يجد فى بيته شيئا يشترى به، فركبنا معه، فتلقاه غلمان الدير بأطباق تفاح، فتناول واحدة فشمها ثم رد الأطباق، فقلت له فى ذلك؟ فقال: لاحاجة

لى فيــه ، فقلــت : ألم يكن أبو بكــر وعمر يقبلون الهدية؟ فقال : «إنهــا لأولئك هدية وهى للعمال بعدهم رشــوة» أ هـ، رواه ابن ســعد. فإذا كان تحريم الهدايا التى بها شــبهة على هذا النحو فما بالنا بالرشوة الصريحة؟.. ألا فاتقوا الله فى حقوق العباد ولا تفتحوا أبواب تحليل الرشوة، فأجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار نسأل الله العافية وبالله التوفيق.

❑❑❑

الشورى فى الإسلام فريضة

الشورى فى الإسلام فريضة، فرضها الله تعالى، ضمانا لحياة سديدة رشيدة، وأمانا للأمة من أن يستبد أحد فيها برأى.. وإذا كانت الشورى مطلوبة فى كل أمر يقدم عليه الفرد أو الجماعة، أو الحاكم أو المحكوم لأنه ما ندم من استشار ولا خاب من استخار. فإنها تكون أشد طلبا وأعظم باعثا فى أوقات الشدائد والمحن، وفى الحروب والأعمال الكبرى التى تتعلق بها مصائر الأمة، أو مصير جماعة من الجماعات أو قطاع من القطاعات.

ولا يحل لمسئول أن يستبد برأيه، لأن رأية وحده نتاج عقل واحد وأما آراء الآخرين الذين يستشيرهم فإنها نتاج عقول كثيرة، وكل له فهمه واجتهاده وخبرته ولم يخلق الله تعالى العقول فى مستوى واحد والناس ليسوا سواء ومن هنا كان لأخذ أراء الجميع واستشارتهم أهمية كبرى.

ولأهمية الشورى فى كل أمر ذكرها القرأن الكريم فى صفات المؤمنين الهامة، بعد الصلاة، وقبل الانفاق، فجاءت وسطا بين هاتين العبادتين حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] وأمر الله تعالى بها رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وهو النبى المعصوم، الذى يوحى إليه، ومع هذا أمره الله تعالى أن يستشير أصحابه، وجاء الأمر بذلك بعد غزوة أحد، التى كان رأى من أشاروا بالخروج للحرب على غير ما يحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وحدث فيها ما حدث من بلاء.

ومع هذا كله يقول الله تعالى ـ مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[2].

وقد طبق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مبدأ الشورى عمليا فاستشار أصحابه رضوان

(١) سورة الشورى ٣٨.

(٢) سورة آل عمران (١٥٩)

الله تعالى عليهم فى الخروج فى غزوة بدر الكبرى واستشـــار من له خبرة ودراية بالحروب والمواقع الحيوية فى المكان الذى ينزل فيه جيش المسلمين، واستشار فى شأن الأسرى.. إلى غير ذلك من الأمور، مع أنه نبى معصوم، ويوحى إليه من ربه سبحانه وتعالى...

وما ذلك إلا لأهمية الشورى ومكانتها فى الإسلام، وأنها فريضة واجبة ولأن فيها تقوية للرأى، وتجميعا لقلوب من يستشـيرهم معه، ودعوة لاجتهادهم فى الأمر وإخلاصهم فيه، وبذل أقصى ما فى الوسع الإنسانى فيما يستشارون فيه.

وحين يكون الذين يستشارون على درجة عالية من الكفاءة فى الشورى والورع والإخلاص والخبرة، فإن الأخذ بالشـورى يصبح أمرا واجبا، وملزما وضروريا، وذلك لقول رسول الله صلوات الله وسـلامه عليه لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما: (لو اجتمعتما فى مشـورة لما خالفتكما) رواه أحمد فى المسند.

وعلى كل من تطلب منه المشورة أن يعلم أنه يعلم أنه مؤتمن عليها وأن واجبه أن يصون الأمانة وأن يؤديها بإخلاص وإتقان وألا يشـير بهوى أو غرض أو حاجة فى نفسـه، وألا يشير بما لا علم له به وأن يكون أمينا فيما يشير به، عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «المستشار مؤتمن» رواه أبو داوود والترمذى والنسائى.

وعلـى من عنـده الخبرة والعلم والدراية، ألا يتوقف عن بذل الشـورى لسـبب ما من الأسباب، فلا يتوقف عن إعطاء الشورى خوفا من أحد، أو طمعا فيما عند أحد، بل عليه أن يشـير بالحق والصواب ابتغاء وجه الله سـبحانه وتعالى فقد قال رسول الله صلوات الله وسـلامه عليه «إذا استشـار أحدكم أخاه فليشر عليه» رواه الطبرانى فى الأوسط ومما يؤكد الشـورى واتباع رأى الذين يشيرون على الإنسان ما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن العزم؟

فقال: «مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم» رواه ابن مردوية. فعلى من استشار وعرف طريق الحق والصواب أن يتبعه، وأن يلتزم به، وألا يحيد عنه.

ولقد وعى الخلفاء الراشـدون رضى الله عنهم أهمية الشـورى، فجعلها سـيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول مبدأ له حين تولى الحكم، وفتح للشـورى أوسـع الأبواب حين

قال – ضمن ما قال: «إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فقومونى».

ورأينا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لا يتخلى عن الشورى طيلة حياته، بل لم تفارقه حتى وهو فى النزع الأخير لقد كان أول من قرر الشورى فى انتخاب الخليفة، فعندما سألوه، وقالوا له: من توصى به؟ قال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتمونى فى حفرتى، فأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة، وأحضر عبدالله بن عمر ولا شئ له من الأمر، ليكون منهم الخليفة.. ولم يشغله ما هو فيه من معاناة عن جمع رأى الأمة ومصلحتها، وفى هذا يقول حافظ إبراهيم شاعر النيل رحمه الله تعالى:

يا رافعا راية الشورى وحارسها ... جزاك ربك خيرا عن محبيها
لم يلهك النزع عن تأييد دولتها ... وللمنية ألام تعانيها
وما استبد برأى فى حكومته ... ان الحكومة تغرى مستبديها
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به ... رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

ولقد عاش حياته رضى الله عنه، لا يأخذ قرارا ولا يبرم أمرا إلا بعد أن يستشير الكبار والصغار وأهل الرأى والخبرة، وكان يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أخوف ما أخافه عليكم إعجاب المرء برأيه» ومما سبق يتضح لنا أن الشورى ملزمة، وأنه لابد أن يستشار العلماء وأهل الرأى والخبرة إلى جانب أولى الأمر وبالله التوفيق.

❑❑❑

من عوامل التعصب: الصلف والجمود

الإســلام هو دين السماحة واليســر، يقر الإجتهاد، ويحرم الجمود ويدعو إلى التسامح والتيسير، ويحرم العنف والتعسير، ويحترم المنحة الربانية، التى منحها الله الناس، وهى منحة العقل.

وكان لكل مجتهد فهمه واجتهاده، فلا يصح لمجتهد أن يُخطّىء مجتهدا، ولا لصاحب عقل أن يتعصب لرأيه ويحتقر آراء الآخرين.

وإذا كان منهج الإســلام فى الدعوة قام على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن، فلا يصح التعصب لرأى دون آخر، ما دام لم يصادم أصلا من الكتاب والسنة.

وإن طلاب الحق، وأهل العلم والمعرفة يتتبعون الحكمة ويأخذونها أنى وجدوها، فهى ضالتهم لا يعنيهم من أى وعاء خرجت.

وإذا كان الأمر كذلك، فما الســر فى انتشــار ظواهر التعصب؟ وما الأســباب الجوهرية الكامنة وراء هذه الظواهر؟؟

أقــول: إن من أهم وأبرز أســباب التعصب للرأى والجمــود على فكر واحد، هو تحكم الصلــف والجمود، والكبرياء والجحود، من بعض النفوس الضعيفة والتى تســتبد بها آفة الكــبر، فتجعلها جامدة على موقفها، متعصبة للرأى الذى تعتنقه، وتصم الآذان عن سماع أحــد، لــذا كان من الواجب أن نلقى الضوء على دعوة الإســلام للتخلــى عن رذيلة الكبر والتحلى بفضيلة التواضع، وبيان آثار الصلف وأســبابه ليتحاشــاها الشــباب وغيرهم ممن وقعوا فريسة التعصب الأعمى، والجمود البغيض، لذا لزم أن نوضح دعوة الإسلام إلى تنقية النفس الإنســانية من آفات الكبر والغرور ونكشــف آثاره السيئة، وأسبابه، ثم نوضح دعوة الإسلام إلى التواضع وبيان ثمراته:

والكبر هو اســتعلاء الإنســان على غيره من الناس، والترفع على من دونه، وهو مرض خلقى، ورذيلة من أسوأ الرذائل، نهى الإسلام عنها وحذر منها.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [1] وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [2].

والصورة الواضحة في معنى الكبر تظهر عندما يدفع المتكبر الحق ويرده فلا يقبله، وحين يزدرى الناس ويحتقرهم، ولا يحترمهم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، وفعله حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[3]، ومعنى بطر الحق: رده وعدم قبوله، ومعنى غمط الناس: احْتقارهم وعدم احترامهم.

والكبر من صفات الله تعالى، فهو سبحانه: «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر... «فالعظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى»[4]

والكبر يورد صاحبه موارد الهلاك، لأنه يدفع صاحبه إلى كل شر ويبعده عن كل خير.

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتوقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكى، فقالوا: ما يبكيك ياأبا عبد الرحمن؟

فقال أبى هذا ـ يعنى عبد الله بن عمرو ـ زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله فى النار على وجهه»[5].

ومن الأثار السيئة التى تترتب على هذا المرض الخلقى ـ الكبر ـ ما يأتى:

أولا ـ أن الله تعالى يعمى قلب المتكبر، فلا يهتدى إلى الحق ولا يفهم آيات الله تعالى، ولا يتدبر ما فيها، لأن الله تعالى طمس على قلبه عقوبة له على تكبره، وفى هذا

(١) سورة لقمان (١٨).

(٢) سورة الإسراء (٣٧).

(٣) رواه مسلم والترمذى.

(٤) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه.

(٥) رواه أحمد والبيهقى فى شعب الإيمان.

إنذار لكل من تسول له نفسه أن يتكبر وأن العاقبة الوخيمة لكل من يصرف عن آيات الله بسبب تكبره، قال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[2].

ثانيا ـ أن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، ولا يحظى بكرم الله تعالى إلا من أحبه فالمتكبر بعيد عن الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3].

ثالثا ـ يمتد خطر الكبر حتى يصل صاحبه إلى أن يستكبر عن عبادة ربه سبحانه وتعالى، فتكون نهايته جهنم وبئس القرار قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[4].

رابعا ـ من الأثار التى تعود على المتكبر غضب الله سبحانه، وسوء خاتمته حتى يلقى الله وهو عليه غضبان، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان»[5].

خامسا ـ أن الله تعالى يعجل للمتكبر العقوبة ويضاعفها له حتى تصل إلى الخسف فى الدنيا، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يتبختر فى بردته، إذ أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[6].

سادسا ـ أن المتكبر يظل فى جهل، وإذا علم شيئا لا يزداد علمه، لأن كبره يمنعه أن يسأل أهل العلم، وأن يحضر مجالس العلم، وأن يستفسر عما يجهله.. وهذا على عكس الإنسان المتواضع فإنه لا يرى بأسًا من أن يأخذ العلم عن العلماء وعمن هو أكبر منه وعمن هو مثله وعمن هو دونه، كما قال بعض سلفنا.

---

(١) سورة الأعراف (١٤٦).

(٢) سورة غافر (٣٥).

(٣) سورة لقمان (١٨).

(٤) سورة غافر (٦٠).

(٥) رواه الحاكم والطبرانى فى الكبير واللفظ له.

(٦) رواه البخارى ومسلم.

«لا ينبل الرجل حتى يأخذ العلم عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه».

سابعا ـ ومن أثار الكبر السيئة التى تعود على صاحبه بالويل والثبور، أنه يمنع الإنسان من قبول آراء الآخرين ونصائحهم وتوجيهاتهم، فتراه يتعصب لرأيه، أو للرأى الذى يعتنقه ويزعم أن ما عداه من الآراء الأخرى غير صحيح، وأن رأيه هو وحده الصحيح، فيظل جامدا على رأى واحد وفكر معين، لا يقبل غيره، ولا يقبل نصائح الآخرين...

وفى هذا التعصب ما فيه من الأضرار التى تضيق ما وسع الله وتمنع الخير عن الإنسان، وعمن يحيط به من إخوانه، وبنى جنسه والتعصب هو شر الآثار السيئة التى تأتى نتيجة الكبر والغرور والصلف.

أسباب التكبر

والذى يدفع الإنسان إلى رذيلة التكبر، هو ضعف إيمانه بالله تعالى إذ لو كان قوى الإيمان بالله، ما تكبر، لأنه يكون حينئذ ـ مؤمنا بأن الله وحده هو الكبير المتعال، وهو العزيز الجبار المتكبر.

فأول أسباب التكبر، هو ضعف الإيمان بالله، وعدم الإيمان بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، وأن الملك فيها لله الواحد القهار، قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[1].

ومن أسباب التكبر التفاخر بالأحساب والأنساب، والله تعالى قد جعل ميزان الافضلية بتقواه لا بالأحساب ولا بالأنساب «إن إكرمكم عند الله اتقاكم»، وعن أبى بن كعب رضى الله عنه أنه قال: إن رجلين تفاخرا عند النبى ﷺ، فقال أحدهما للآخر: أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة، فمن أنت لا أم لك؟ فقال النبى ﷺ: أفتخر رجلان عند موسى عليه السلام، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: قل للذى افتخر: بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم»[2].

(١) سورة النحل (٢٢).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند.

ومن أسباب التكبر أن يكون الإنسان أكثر عبادة من غيره، وكان عليه أن يدرك أن حسن الخاتمة بيد الله تعالى وحده، ولا يدرى أحد من نفسه أيثبت على الطاعة أم لا، ورب معصية أورثت ذلا وصغارا، خير من طاعة أورثت عزا واستكبار وقد روى أن رجلا من بنى إسرائيل أتى عابدا فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد: ارفع فوالله لا يغفر الله لك، فأوحى الله إليه: «أيها المتألى على بل أنت لايغفر الله لك»[1].

ومن أسباب التكبر: المال وكثرة العرض، وعلى من بيده مال ألا يتعالى على الناس به، بل عليه أن يشكر الرازق فيصرفه فى الوجوه المشروعة، فالمال عرض زائل، وهو فتنة لصاحبه، فيكون سبب هلاكه إن طغى وتكبر بسبب المال، ويكون خيرا له إن تواضع به وأعطى حقوق العباد منه، وعليه ألا ينسى أنه من تراب وإلى تراب قال الشاعر:

نسى الطين ساعة أنه طين ... حقير فصال تيها وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى ... وحوى المال كيسه فتمرد
ياأخى لاتمل بوجهك عنى ... ما أنا فحمة ولا أنت فرقد
أنت فى البردة الموشاة مثلى ... فى كسائى الرديم تشقى وتسعد
أمانى كلها من تراب ... وأمانيك كلها من عسجد؟
وأمانى كلها للتلاشى ... وأمانيك للخلود المؤكد؟
لا فهذى وتلك تأتى وتمضى ... كذوبها وأى شئ سرمد؟
أنت مثلى من الثرى وإليه ... فلماذا يا صاحبى التيه والصدد؟[2]

وكان على صاحب المال ألا يتعالى على الناس به وألا يتفاخر ويتكاثر بل يخرج زكاة ماله، وينفق منه، «نعم المال الصالح للرجل الصالح»، فحبذا لو جعل منه صدقة جارية تبقى له بعد موته، كما قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[3].

(١) رواه أبو داود.
(٢) الجداول « ديوان شعر إ يليا أبو ماضى».
(٣) رواه مسلم والبخارى فى الأدب.

والــذى يتكــبر بالمال، لا يأمن أن تــزول النعمة من يده، أو يهلــك ماله، فليس له أن يستعلى على الناس بالمال بل عليه أن يؤدى حق الله وحق العباد.

ومن أسباب التكبر: المنصب والسلطان والجاه، فكثير من الناس يتغيرون فى معاملاتهم إذا ولوا منصبا، ويأخذهم الصلف والغرور، وينســى رفقاء رحلته أيام التعب والخشــونة ولكن شأن كرام المؤمنين ألا تغيرهم المناصب وألا ينسوا إخوانهم، كما قال الشاعر:

إن الكــرام إذا مـا أيسـروا ذكـروا من كان يألفهم فى الموطن الخشـن

وعلى من رأى فى نفســه الاســتعلاء بسبب المنصب أن يرى نفســه أصلها وأن يتخلى عــن مــرض الغرور، ويتحلى بالتواضــع فها هو عمر بن الخطاب رضــى الله عنه يخطب فيقــول: أيهــا الناس لقد رأيتنى أرعى الغنم عند خــالات لى من بنى مخزوم، فأقبض من التمر والزبيب، فأظل بها يومى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ياأمير المؤمنين، ما زدت على أن عبْت نفســك؟ فقال له عمر: ويحك يا ابن عوف إنى خلوت بنفســى فحدثتنى، فقالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها نفسها. وها هو عمر بن عبد العزيز كان مع بعض جلســائه فاحتاج السراج إلى إصلاح فقام ليصلحه فقالوا له: كلنا نكفيك ذلك؟ فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قمت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شئ.

وبمثــل هذا التصرف الحكيم يعالج العقلاء نزعــات النفوس التى توردهم موارد الصلف والغرور، ويعالجون ضعف أنفسهم بالحكمة.

وقد يكون العلم من أسباب التكبر عند بعض الناس، حين لا يطلبه صاحبه لوجه الله، وحــين يباهــى به الناس أو يتظاهر بأنه أعلم الناس وأعظم الناس، والله تعالى يقول: « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

وقــد كان الأولى بأهــل العلــم أن يكونوا أكثر الناس تواضعا، لأنهــم أعلم الناس بفضل التواضع، وأدرى الناس بنهاية المغرورين والمتكبرين...

وقد كان أهل العلم من سلفنا أكثر الناس تواضعا، وقُدْوَتُهم فى ذلك رسول الله ﷺ الذى

كان يستوقفه الرجل والعجوز والصغير والكبير فى الطريق وفى كل مكان فيقف ويجيب كل سائل دون ملل أو تبرم، وكان لسلفنا الصالح نماذج عالية فى هذا المضمار، رأى ابن عباس رضى الله عنهما زيد بن ثابت يوما يركب دابته فأخذ بركابه يقود به، فقال زيد: تنح ياابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا فقال زيد: أرنى يدك، فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد، وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

وهكذا نرى تواضع العلماء مع كبارهم، وتوقيرهم لهم وتواضع كبارهم وأل بيت النبى ﷺ إنها قمة التواضع والخلق الرفيع والأدب العالى العظيم.

فضيلة التواضع من دلائل كمال الإيمان

وإذا كان التكبر مبعثه ضعف الإيمان، فإن فضيلة التواضع مبعثها كمال الإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[1].

وإذا كان الكبر طريقا إلى الانخفاض وعدم الرفعة فإن التواضع طريق إلى العلو والارتفاع، قال ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[2]. ولطالما طبق صحابة الرسول ﷺ خلق التواضع فى كل تصرفاتهم وسلوكهم، عن طارق قال: «خرج عمر إلى الشام ومعنا أبو عبيدة فأتوا على مخاضة (مستنقع) وعمر على عاتقة له، فنزل وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض فقال أبو عبيدة: ياأمير المؤمنين: أنت تفعل هذا؟ ما يسرنى أن أهل البلد استشرفوك فقال أوه لو قال ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة

(١) سورة الفرقان ٦٣.

(٢) رواه مسلم والترمذى.

محمد، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»[1].

وقد خاطب رب العزة رسوله ﷺ بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[2] وقال: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[3].

ثمرات التواضع

من أهم ثمرات التواضع رضا الله تعالى عن المتواضعين، وإكرامه لهم ورفعه لدرجاتهم، فمن تواضع لله رفعه الله، كما جاء فى الحديث: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

ومن ثمرات التواضع: منع التفاخر والبغى والظلم بين العباد، فكم من الظالمين دفعهم كبرهم وغرورهم إلى ظلم إخوانهم، قال ﷺ: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد»[4].

ومن ثمراته: حب الناس للمتواضع، لأنه يمشى على الأرض هونا ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[5].

ومن ثمرات التواضع سلوك سبيل الجنة، على عكس الكبر فإن فيه سلوك طريق النار، قال رسول الله ﷺ:

«لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر».

□□□

(١) رواه الحاكم.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٣) سورة الشعراء ٢١٥.

(٤) رواه مسلم وأبو داود.

(٥) سورة الفرقان ٦٣.

سماحة التشريع الإسلامى
سر انتشاره

من أبرز سمات التشريع الإسلامى: سماحته ويسر أحكامه فليس فيه حرج ولا مشقة، ولا عسر ولا تغير بل فيه اليسر والرحمة، والخير والتبشير... والذى يتصفح تعاليم الإسلام يرى هذه الحقيقة واضحة بأجلى معانيها وأوضح صورها ونماذجها فى العقيدة والعبادة والمعاملة.

أما فى العقيدة: فليس فيها تعقيد ولا غموض، ولا نظرية جائحة ولا فلسفة حائرة، بل تتركز عقيدته فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره حلوه ومره.... وليس فى عقيدته إيمان بما جاء به البشر بل إيمان بما أنزله الله على رسوله ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1] وليس فى عقيدته عصبية ممقوتة بل احترام لما أنزله الله وإيمان به واحترام لجميع رسل الله تعالى وإيمان بهم دون تفريق بين أحد من رسله ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[2].

وأما فى العبادة: فهى عبادة ميسورة، فى وسع كل إنسان أن يأتى بها فلا صعوبة فيها ولم يكلف الله تعالى عباده إلا بما هو فى وسعهم ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3] ... وقد شرع الله العبادة وأحكامها ومع يسرها، فقد رفع الحرج عنها ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[4] فمن لم يستطع الوضوء بالماء لتعب أو مرض أو جرح يمنعه من الماء أو لأنه لم يجد الماء بل فقده شرع الله له التيمم بالتراب الطاهر...

﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[5] وشرع الله الصلاة، وما فيها من قيام وقعود، وركوع وسجود، ومع يسر هذه العبادة، فقد رفع الحرج عنها، ورخص لغير القادر على

(١) سورة البقرة ٢٨٥.
(٢) سورة البقرة ٢٨٥.
(٣) سورة البقرة ٢٨٦.
(٤) سورة الحج ٧٨.
(٥) سورة النساء ٤٣.

القيـــام أن يصلـــى من قعود، ولغير القادر على أدائها من قعـــود أن يؤديها مضطجعا ولغير القادر على أدائها مضطجعا أن يؤديها باشارة رأسه ولغير القادر على ذلك أن يشير برموش عينيـــه ولغير القادر على ذلـــك يجرى أركان الصلاة على قلبه ولا يتركها ما دام عقله ثابتا لأنها الصلة بينه وبين خالقه، فانظر إلى أى مدى وصل اليسر ورفع الحرج أن يكتفى بأن يجرى الأركان على قلبه عند عجزه عن الحالات الســـابقة؟ إنها الرحمة الإلهية ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[1].

وأمـــا عبـــادة الصيام: فقد رخص الله تعالى للمريض والمســـافر ســـفرا طويلا أن يفطر ويقضـــى الصوم فى أيام أخر قال تعـــالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾[2] وكذلـــك رخص للحامـــل والمرضع فى الإفطار والقضاء من أيام أخر.

وأما فى الحج:

فإنه لم يشرعه فى كل شهر ولا فى كل سنة بل أوجبه الله تعالى مرة واحدة فى العمر كله، ولم يفرضه على الجميع بل على المستطيع فحسب، قال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[3]. وإذا نظرنـــا إلى سماحـــة الإســـلام فى المعاملات، وجدنا الهدى النبوى يرشد إلى السماحة فى كل المعاملات من بيع أو شراء أو اقتضاء، عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أن رســـول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشـــترى وإذا اقتضى» رواه البخارى، وإقرارا لروح الســـماحة والتراحم بين العباد فى معاملاتهم، ينبئنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن ثمرة ذلك فى الأخرة حيث يتجاوز الله تعالى عن عباده الذين يتجازون ويتســـامحون مع عباد الله، روى البخارى بســـنده أن

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة البقرة ١٨٤.

(٣) سورة آل عمران ٩٧.

حذيفة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئا؟ قال: كنت أمر فتيانى أن ينتظروا المعسر، ويتجاوزوا عن الموسر قال: فتجاوز الله عنه» وعن أبن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «من أراد أن... تستجاب دعوته، أو تكشف كربته فليفرج عن معسر». وكما راعى الإسلام السماحة فى العقيدة والعبادة والمعاملات فإنه راعى السماحة فى معاملة المسلمين لغيرهم ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]. بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ما داموا فى دار الإسلام وهذا الحق الذى قرره الإسلام لحمايتهم، يجب أن يعمل به أهل الأديان الأخرى فى معاملة الأقليات الإسلامية حماية لهم وتمكينا لعباداتهم حتى يتم التعاون بين عنصرى الأمة.

ولننظر كيف أكد الإسلام على حقوق أهل الكتاب والمعاهدين قال رسول الله ﷺ: ألا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة» رواه البيهقى. ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: «أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم».. وإرساء لأسس التعاون والتواصل بين عنصرى الأمة أحل الله طعامهم فقال: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[2] وشرع الزواج بالمرأة الكتابية ولا رابطة فى الظواهر الاجتماعية أقوى من ذلك قال تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾[3].

ومما يدل على انتشار الإسلام بسماحه وحسن معاملة المسلمين لغير المسلمين، هذه الواقعة التى حدثت بين الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وبين أهل الكتاب، وذلك عندما فقد الإمام على رضى الله عنه درعه، ثم وجدها عند هذا الرجل الكتابى، فجاء به إلى القاضى شريح قائلا: إنها درعى ولم أبع ولم أهب فسأل القاضى شُرَيح الرجل الكتابى

(١) سورة الممتحنة ٨.

(٢) سورة المائدة ٥.

(٣) سورة المائدة ٥.

قائـــلا: «ماتقول فيما يقول أمير المؤمنين؟». فقال الرجل: ما الدرع إلا درعى، وما أمير المؤمنـــين عنـــدى بكاذب. فالتفت القاضى شـــريح إلى الإمام على رضي الله عنه يســـأله: « ياأمير المؤمنين هل من بينه؟» فضحك على وقال أصاب شـــريح مالى بينه، فقضى بالدرع للرجل، فأخذها ومشـــى، وأمير المؤمنين ينظر إليه إلا أن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أمـــا أنا فأشـــهد أن هذه أحكام أنبياء..... أمير المؤمنين يديننـــى إلى قاضيه فيقضى عليه؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الدرع والله درعك ياأمير المؤمنين، انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، فقال الإمام على رضى الله عنه: «أما إذا أسلمت فهى لك»....

وهكـــذا نرى كيف وصلت سماحة الإســـلام إلى هذا المدى الذى يقـــف فيه أمير المؤمنين نفســـه أمام القاضى مع رجل من أهل الكتاب ومع أن أمير المؤمنين على حق، فإن القاضى طالبـــه بالبينـــة، وهذا أمر جعـــل أمير المؤمنين يضحك، لأنه على حـــق، وليس معه بينة، وواضـــح أنـــه المدعى، والبينة على المدعى واليمين على من أنكر ثم تكون النهاية: أن يحكم القاضى للرجل بالظاهر، حيث لم تظهر البينة... إن هذه المعاملة الســـمحة، التى لا يفرق فيها بين أمير وواحد من الرعية من أهل الكتاب، جعلت الرجل يفكر فى هذا الدين ويتملكه الإعجـــاب بهذا الدين، الذى يقف فيه أمير المؤمنين أمام قاضيه ويحكم قاضيه عليه لا له، بظاهر ما أمامه وإن كان ذلك خلاف الواقع فأنطق الله الرجل أن يقول: أما أنا فأشـــهد أن هذه أحكام أنبياء... وقال أشهد أن إلا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. ويعترف ويقـــر بالحقيقة قائلا: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، انبعث الجيش، وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، ولكنه وقد أعترف وأحب الإسلام ودخل فيه جعل أمير المؤمنين يتنازل عن الدرع للرجل قائلا: أما إذا أسلمت فهى لك إنها صورة من صور القضاء فى قمة عدالته حيث يساوى بين هذا الرجل وبين أمير المؤمنين، وصورة من سماحة الإسلام فى ذروتها حيث كان الحكم بالظاهر وعلى أمير المؤمنين لا له، إن مثل هذه المعاملة السمحة مع غير المسلمين، هى التى قربت الإسلام إلى الناس وجعلتهم يدخلون فى دين الله أفواجا.

أما صور التعصب الممقوت التى يساء فيها إلى الإسلام فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول

فيــه، بــل تدفعهم إلى النفور منه... ومن أجل هذا كان القــرأن الكريم يجلى هذه الحقيقة ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[1] وأيضــا لاحــرج فيــه ولا مشــقة ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾[2].

إنه دعوة إلى اليسر والتسامح لا إلى العسر والغلظة ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾[3].

وإذا كان التســامح وحســن المعاملة وعــدم التعصب، أمورا مطلوبة من المســلمين فى معاملتهم مع غير المســلمين، فإنها كذلك مطلوبة من غير المســلمين، حتى يتم معاملة كل طــرف للأخر فى دائرة التعاون والتضامن فلا يســيء أحدهــم إلى الأخر بل يتعاملون بروح الفريق الواحد فى الوطن الواحد.

□□□

(١) سورة البقرة ٢٥٦.

(٢) سورة الحج ٧٨.

(٣) سورة البقرة ١٨٥.

وسطية الإسلام

وسطية الأمة:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]. والوسط: الخيار والأجود، ولما أنعم الله على هذه الأمة بنعمة الوسطية فكانت خير الأمم، خصها سبحانه وتعالى بأكمل الشرائع وأوضح المناهج وأيسر التكاليف وأوضحها، كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[2]. وفيما رواه الإمام أحمد – بسنده – عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فذلك قوله: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» قال: والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم»[3].وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجئ النبى يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم هذا، فيقولون: لا فيقال له هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيدعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم فيقال: وما علمكم؛ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله عز وجل «وكذلك جعلناكم أمة وسطا». والأية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى حين حول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قبلة إبراهيم عليه السلام واختارها لهم ليجعلهم خيار الأمم، ليكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأن الجميع معترفون لهذه

(١) سورة البقرة ١٤٣.

(٢) سورة الحج ٧٨.

(٣) رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة من طريق الأعمش.

الأمة بالفضل وواضح أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهل المدينة اليهود، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود فاستقبلها ﷺ بضعة عشر شهرا، وكان يحب قبلة إبراهيم، فكان يتوجة بالدعاء إلى ربه سبحانه وتعالى وينظر إلى السماء فأنزل الله تعالى قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وكان عليه الصلاة والسلام قبل هجرته قد أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمر الله بالتوجه إلى بيت المقدس.

وكان الأمر باتجاهه إلى بيت المقدس من الله تعالى، وكان التحويل إلى الكعبة من الله ووافق رغبة رسول الله ﷺ، فقد شرع الله التوجه إلى بيت القدس ثم شرع التحول إلى الكعبة، ليظهر من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقيبه، قال تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾[2].

عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت وكان الذى قدمات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر

(١) سورة البقرة ١٤٤.

(٢) سورة البقرة ١٤٣.

ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وسطية المكان:

والكعبة المشرفة التى هى قبلة المسلمين، هى فى البقعة المباركة والمكان الوسط، فهى فى وسط الكوكب الأرضى، تتوسط دنيا الناس شرقا وغربا وشمالا وجنوبا..

وهكذا اختار الله تعالى مكان رسالته، وموقع قبلة الصلاة، ومهبط الوحى، هذا المكان الوسط، الذى يتسق مع وسطية الدعوة السمحة ويتناسب مع الرسالة العامة الخالدة، لترسل أشعة النور والهداية إلى من حولها من جميع بقاع العالم.

وهكذا اقتضت الحكمة الربانية، أن يكون المكان وسطا فى جغرافية الأرض، لتتمكن الدعوة أن تنشر فى ربوع الأرض، وتؤدى أمة الإسلام أمانة التبليغ التى حملها الله تعالى إياها، حيث نزل الوحى- قرأنا وسنة- بلسان عربى مبين، وفى أمة عربية، وفى مكان وسط العالم، كل هذا يؤكد وجوب تبليغ الأمانة التى كلف الله تعالى هذه الأمة بها، وشرفها بإنزال الوحى على أرضها وإرسال رسول من أنفسهم، وقيام القبلة – الكعبة المشرفة – فى هذا المكان الطاهر والحرم الأمن فى قلب العالم..

وهكذا تتكشف حقيقة نزول الوحى الإلهى فى البلد الحرام، والقبلة المشرفة داخل المسجد الحرام، فمكة المكرمة هى مركز الكرة الأرضية ووسط العالم بأسره.

وإن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[2] يحدد لهذه الأمة دورها فى النهوض بالبشرية ورسالتها فى قيادة القافلة الإنسانية، فبذلك تتبوأ مكانتها كخير أمة أخرجت للناس، شاء الله لها أن تكون أمينة على رسالة السماء وشاهدة على الناس.

وحين تتخلى عن هذه الرسالة، أو تخل بواجبها تكون قد حرمت نفسها من خيريتها، ومن كونها الأمة الوسط، وفقدت كيانها المعنوى ودورها الريادى بين الأمم.

ويستوجب القرآن على هذه الأمة عبادة الله، والجهاد فى سبيل الله حق جهاده، لأنه

(١) سورة البقرة ١٤٣.

(٢) سورة البقرة ١٤٨.

اختارهم واصطفاهم على سائر الأمم، وكلفهم بشريعة لا حرج فيها ولا مشقة، ولا ضيق ولا عسر، إنها الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام، وقد سماهم الله المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمه، وفى هذا أى القرآن قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[1].

أى أن الله تعالى جعل هذه الأمة وسطا عدولا وخيارا، ليكونوا شهداء على الناس وعلى جميع الأمم، لأن جميع الأمم معترفة بفضل هذه الأمة على كل أمة سواها، ولذلك تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة فى أن كل رسول بلغ قومه، ويشهد رسول الله ﷺ على هذه الأمة أنه بلغها ذلك..

وفى مقابل هذه المنزلة التى بوأها الله تعالى لهذه الأمة، وفى مقابل النعمة على الأمة أن تقوم بشكر ربها سبحانه وتعالى، وما أوجبه الله عليها من عبادة وطاعة ومن أهمها الصلاة والزكاة، «وعليهم أن يعتصموا بالله وأن يعتصموا به ويتوكلوا عليه»...﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[2].

وسطية الزمان:

لم تأت رسالة الإسلام الخاتمة فى أول تاريخ البشرية ولا فى أخره بل جاءت فى الوسط لتكون مصدقة ومهيمنة وحارسة لما جاءت به الرسالات السماوية السالفة.

وسطية العقيدة:

ووسطية العقيدة تعنى أنها عقيدة عادلة خيرة، يؤمن العباد فيها بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحدا إيمانا لا تمثيل فيه ولا تعطيل، لأن الله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

(١) سورة الحج ٧٧ – ٧٨.

(٢) سورة الحج ٧٨.

ويؤمن العباد بالرسول صلوات الله وسلامه عليه وسلم بأنه رسول الله وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة وهدى الأمة وأخرج الناس من الظلمات إلى النور ويؤمنون بأنه ليس فى درجة فوق النبوة والرسالة كما يزعم بعض الضالين فى أنبيائهم أنهم وصلوا إلى درجة الألوهية وليس فى درجة سائر البشر فهو بشر ولكنه يوحى إليه ومرسل من ربه ولذا ورد عنه صلوات الله وسلامه النهى عن الغلو فى اطرائه حيث قال: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» ويؤمنون أنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

وكما تتجلى وسطية العقيدة فى عدم التمثيل والتعطيل فى الصفات فإنها تتجلى ايضا فى الإيمان بالقدر، فنرى أهل السنة يرفضون رأى الجبرية الذين يقولون إن الإنسان مجبور على عمله كما يرفضون رأى القدرين الذين يقولون بإنكار القدر، ووقف أهل السنة والجماعة موقفا وسطا، فيثبتون أن الله خالق كل شىء، وأنه ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، ويؤمنون أيضا بأن للعباد قدرة واختيارا، أى أنهم يقفون موقفا وسطا بين الذين ينفون اختيار العبد والذين ينفون القدر، فيؤمنون بأن الله على كل شئ قدير، وأنه لايكون فى ملكه إلا ما يريد، ويؤمنون بأن للعبد قدرة واختيارا.

وسطية العبادة:

وجاءت عبادات الإسلام ميسرة ووسطا فلاهى صعبة يشق على العباد أن يأتوا بها، ولا هى بسيطة جدا بحيث لا تترك فى النفس كبير أثر، وإنما جاءت وسطا ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1]. فما كلف الله تعالى عباده إلا بما كان فى استطاعتهم أن يفعلوه، قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[2].

فالصلاة لم يفرضها الله فى كل ساعة، ولم تكن ركعاتها كثيرة وشاقة ولم تكن أيضا قليلة أو فى وقت واحد أو اثنين فحسب، بل كانت وسطا تجمع بين الليل والنهار وهى خمس صلوات فى اليوم والليلة.

والصوم لم يكن للعام ولا لعدة شهور،ولكن فرض الله تعالى صيام شهر واحد فى السنة

(١) سورة البقرة ٢٨٦.

(٢) سورة التغابن ١٦.

كلها وهو شهر رمضان ولم يكن صوم اليوم شاملا بل كان الصوم من الفجر إلى غروب الشمس.

ولم تكن الزكاة ضارة بحال الفقير ولا بحال صاحب المال، بل فاوت الله فى مقادير الزكاة حسب الجهد الذى يبذله صاحب المال فما كان من جهود كثيرة كالنقد وعروض التجارة قل مقـدار مـا يخرجه صاحب المال من الزكاة وما كان أقل جهدا كالركاز يزيد مقدار ما يخرجه للزكاة، ففى زكاة النقدين وعروض التجارة يخرج ربع العشر وفى الركاز يخرج الخمس.

وأيضا فى زكاة الزروع والثمار: فما كان منها يسقى بالألة يخرج منه نصف العشر. وما كان منها يسقى بغير أله ففيه العشر.. وهكذا كلما كان الجهد المبذول أكثر كان مقدار الزكاة أقل، وكلما كان الجهد المبذول أقل كان مقدار الزكاة أكثر.

وعبادة الحج لم يفرضها الله ولم يوجبها إلا على المسـتطيع ولم يفرضها مرتين أو أكثر بل فرضها على المستطيع مرة واحدة فى العمر كله.

وهكـذا كانـت جميع التكاليف الشـرعية، لا إفراط فيها ولا تفريـط، ولا غلو فيها ولا تقصير، بل جاءت وسطا يستطيع كل مكلف أن يأتى بها.

وسطية الأخلاق:

وإذا نظرنا إلى الأخلاق فى الإسلام وجدنا أنها جاءت وسطا، فكل فضيلة من الفضائل وسط بين رذيلتين، ففضيلة الكرم وسط بين التبذير إذا كان هناك إفراط، وبين «البخل» إذا كان هناك تفريط. وفضيلة «الشـجاعة» وسـط بين «التهور» إذا كان الإفراط، وبين «الجبن» «إذا كان التفريط» وهكذا.

وسطية الروح والجسد:

لقد عنىالإسـلام برعاية الجسـد ورعاية الروح ولم تتركز عنايته لجانب دون الأخر، فدعا الإسـلام إلى متطلبات الجسـد فى الحلال بعيدا عما حرم الله، ففى الحديث: «... وإن لجسدك عليك حقا»[1].

(١) رواه البخارى.

ولم يحــرم الزينــة الحلال ولا الطيبات من الرزق، قــال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[1]. ودعا إلى وســائل القوة كالرماية والسباحة وركوب الخيل والرياضة البدنية.

كما عنى بالجانب الروحى بالعبادات والالتجاء إلى الله والتوجه إليه بالدعاء، وتوثيق الصلة الدائمة بالله تعالى ومراقبته فى السر والعلانية وتواصل الرعاية بالبدن والروح والتوازن بينهمــا بحيث لا يطغى جانب الجســد والمادة على الــروح، ولا يطغى جانب الروح على الجســد بل يكون الإنســان فى الوســط وهو الاعتدال بين متطلبات الجانبين، ولقد وجه الرســول ﷺ إلى هذه الوســطية والاعتدال بين متطلبات الروح والجسد فعندما علم انهماك عبد الله بن عمرو بن العاص فى العبادة،قال له: «ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال عبدالله: فقلت: بلى يارســول الله فقال عليه الصلاة والســلام: «فلا تفعل، صم وأفطر وقــم ونم، فإن لجســدك عليك حقا، وإن لعينك عليــك حقا وإن لزوجتك عليك حقا، وإن لزوارك عليك حقا» «زوارك» :أى ضيفك[2].

وسطية المنهج فى الدعوة:

وجاء منهج الدعوة الإسلامية وسطا، لا إكراه فيه ولا تشديد، ولا تهاون فيه ولا تفريط وإنما دعوة تتناسب مع معادن الناس وأحوالهم، وتقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[3].

كمــا يقوم منهج الدعــوة على اللين فى القول، وعدم التشــدد أو التزمت فقد قال الله تعالى: «فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى».

ولقــد وعــظ أحد الواعظين المأمون فأغلظ له فى القول، فقال: يارجل (ارفق) فقد بعث الله من هو خير منك – يريد موسى وهارون عليهما السلام إلى من هو شرمنى – يريد فرعون

(١) سورة الأعراف ٣٢.

(٢) رواه البخارى.

(٣) سورة النحل ١٢٥.

– فأمرهما بالرفق واللين فقال سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1].

وتقضى وسطية المنهج الدعوة باللين والتدرج والتؤدة، وعدم التفريط والطفرة والعجلة.

دوايت متئدا وداووا طفرة وأخف من بعض الدواء الداء

فالتدرج فى الدعوة وعدم الطفرة هى سمة المنهج الإسلامى فى الدعوة، وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أن ابنه عبد الملك قال له: مالك لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالى لو أن القدور غلت بى وبك فى الحق، فقال له عمر: «لاتعجل يابنى، فإن الله ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة، وإنى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة ويكون من ذا فتنة».

❑❑❑

(١) سورة طه ٤٤.

دعوة الإسلام إلى حب الأوطان

إن محبة الأوطان من دلائل الإيمان، فما شرع الجهاد فى سبيل الله إلا دفاعا عن العقيدة والأوطان، وردا للظلم والطغيان، وتأمينا لدعوة الإيمان، ونشرا للسلام والأمان.ومما لاشك فيه أن فى الجهاد بذلا للمهج والأرواح فى سبيل الدفاع عن الدين والأوطان.

وللأوطان فى دم كل حر يد سلفت ودين مستحق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

وقدوتنا فى حب الأوطان هو سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فعندما خرج مهاجرا من مكة إلى المدينة نظر إلى البيت الحرام نظرات حانية ثم قال مخاطبا مكة المكرمة، بلد الله الحرام ومسقط رأسه ومنزل الوحى وقبلة المسلمين: «والله إنك لأحب أرض الله إلى، وانك لأحب أرض الله إلى الله، ولو لا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت».

ثم توجه الرسول ﷺ إلى الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء: «الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا، اللهم أعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام.اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى، وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فذللنى، وعلى صالح خلقى فقونى، وإليك ربى فحببنى، وإلى الناس فلا تكلنى».

رب المستضعفين، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن تحل على غضبك وتنزل بى سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندى خير ما استطعت، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وفى قوله ﷺ لمكة: «إنك لأحب أرض الله إلى. ...» ما يدل على حبه لها، وعدم رغبته عنها إلا للضرورة، ولذلك لما خرج عليه الصلاة والسلام من مكة، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[1] قال: إلى مكة.

ومما يدل على أن حب الوطن من الإيمان، قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾[2] والناس يحبون أوطانهم ففيها حياتهم وتشأنهم وبها تعلقت عواطفهم، وفيها تواصل الأرحام والاحسان إلى أهل الوطن من فقراء ومحتاجين، وفى كل جزء فى الوطن عاطفة للانسان ترتبط به ولا تفرط فيه.

وإذا كانت مكة وطنا أول لرسول الله ﷺ فإن المدينة المنورة كانت الوطن الثانى الذى هاجر إليه، ودعا للمدينة ولأهلها ودعا بالبركة فيها حيث قال: «وأجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة».

وتتجلى محبته صلوات الله وسلامه عليه للمدينة، ومحبة أهل المدينة إليه فى استقبالهم وحفاوتهم به وبالمهاجرين من أول لحظة قدم فيها المدينة كما تتجلى محبته للمدينة ومحبة أهلها له بعد أن فتح الله تعالى عليه مكة وفرح بالفتح فرحا عظيما، وكان حفيا بالكعبة المشرفة وبالمسجد الحرام.. وعندئذ خاف الأنصار أن يقيم رسول الله ﷺ فى مكة.

ولا يرجع إلى أهل المدينة فيحرمون منه، فقال بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته، ورأفة بعشيرته، أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟

فأوحى الله إليه بما جرى، فذهب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إليهم، فأخبرهم بما قالوا: فأقروا، فطمأنهم قائلا: «كلا إنى عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم».

فأقبلوا اليه يبكون ويقولون «والله ما قلنا إلا الضن بالله ورسوله». فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم».

هذا هو النموذج الأمثل فى حب الوطن والتعلق به، والوفاء له والانتماء الصادق إلى العقيدة الحقة التى تدعو إلى حبه وصدق الانتماء إليه وهذا يجعل الناس ينافحون عنه وينتصرون

---

(١) سورة القصص ٨٥.

(٢) سورة البقرة ٢٤٦.

له، ويضحون بالنفس والنفيس فى سبيله وتكون خيانته أو التفريط فى حقه فى الأمن والاستقرار من الخيانة العظمى التى تورد صاحبها موارد الهلاك.

إن حب الوطن، يدعو كل مؤمن صادق الإيمان، أن يكون وفيا لتراب الوطن الذى نشأ عليه، وأن يصونه من كل غائلة ومن كل ترويع أو اضطراب فلا إيمان لمن لا أمانه له، ولا دين لمن لاعهد له.

إن سمات المؤمن أن يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم بل يكون اسمه نداء النجدة للمكروبين والمفزعين ويكون فى جواره الأمن والطمأنينة.

وإن الإسلام حين يدعو إلى حب الأوطان ونشر الطمأنينة فيها والأمان إنما يقرر المبدأ الإسلامى الذى يجب أن يسود فى الأرض وهو مبدأ الحرية والسلام والأمن والاستقرار بل إن الإسلام قرر مبدأ الجوار، ومبدأ الامن لمن يجير إنسانا ولو كان كافرا، فلا تمتد يد بسوء إليه.

فقد كانت السيدة أم هانىء بنت أبى طالب زوج هبيرة بن أبى وهب المخزومى قد أجارت بعض أقارب زوجها، بعد الفتح وهما: الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية المخزومى، فدخل عليها أخوها على بن أبى طالب رضى الله عنه، يريد أن يقتل الرجلين فمنعته أم هانئ، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ، وهو فى مكة، فلما رأها رسول الله ﷺ قال: «مرحبا بك وأهلا يا أم هانئ ما جاء بك؟». فقالت: يانبى الله كنت أمنت رجلين من أحمائى فأراد على قتلهما، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ».

فماذا كانت نتيجة هذا الجوار والأمان لهذين الرجلين؟

لقد أسلم الحارث وزهير وكانا عونا للإسلام وأهله وهكذا كانت ثمرة تعاليم الإسلام فى دعواتها إلى الأمن والاطمئنان، وحب الأوطان، ولله در القائل:

بلادى وإن جارت على عزيزة وأهلى وان ضنوا على كرام

ومعنى هذا أن الإنسان يعز عليه أن تشقى بلاده، وحتى لو فرض وأنها جارت عليه، أو ناله منها عسف أو تعب أو نصب، فإنها مع هذا عزيزة على الإنسان لا يرضى لها الضياع ولا الهوان ومعلوم أن الوطن بمؤسساته وتراثه وبحضاراته وخيراته لا تكون هذه الأشياء

هى الجائرة، ولكن مراد الشاعر أن الذين فيها قد يجورون فلا يصح أن يكون هذا مسوغا للإنسان أن يكره الوطن برمته ولا أن يكون حربا عليه، بل تظل بلاده عزيزة عليه.

كما أن أهل الإنسان وعشيرته قد يبخلون عليه، فلا يكون بخلهم أو بخل أحدهم على الإنسان مسوغا له أن يبغضهم، بل عليه أن ينظر إلى زوايا أخرى ناله من خلالها وبسببهم خير كثير، فقد تربى بخيرهم ونشأ فى جوارهم وإن ضنوا عليه فى جانب، فقد كانوا كراما فى جوانب أخرى.

ومن هنا تغنى الشعراء بحب الأوطان وبالتفانى فى سبيل رفعتها وسؤددها:

وطنـى لـو شغلـت بالخلـد عنـه نازعتنـى إليـه فـى الخلد نفسى

إن الإنسان المؤمن، يحب وطنه ويظل وفياله، منافحا عنه وعونا لأهله فى السراء والضراء يعز عليه أن يشقى الوطن أو أحد أهله مهما كانت الأحوال

دم الأهـل والقـربى وإن كان ظالما عزيـز علينـا أن نـراه يسيـل

إن الإنسـان المؤمن، محب لوطنه، وفى له متعاون مـع أهله مدافع عنه يعز عليه عنت الوطـن أو شـقاؤه أو ترويعـه أو إرهاب أحد بنيـه بل يحب له الخير والسـلام، والأمن والاستقرار، فالمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، روى الدينورى، عن الأصمعى قال: قالت الهند:

«ثلاث خصال فى ثلاثة أصناف من الحيوان:

الإبـل تحـن إلى أوطانهـا، وإن كان بعيدا، والطير إلى وكـره وإن كان موضعه مجدبا، وللإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعا».

وعن الأصمعى قال: سمعت أعرابيا يقول:

«إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه؟ وتشوقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه».

❑❑❑

أسس العمل الإدارى الناجح
فى ميزان الإسلام

الإسلام دين العمل الناجح، والنافع للفرد والمجتمع، وللدنيا وللأخرى..

فالإسلام لايدعو أتباعه إلى العمل مطلقا دون اتفاق ونجاح بل إنه يدعو إلى العمل الناجح المفيد المتقن، كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه».

والعمل فى الإسلام لا يقتصر على الفرد الذى يقوم به فحسب بل إن عمل الفرد يمثل جزءا من العمل الجماعى، ولذا فإن الإسلام يستهدف من نفع العمل الفرد والمجتمع، فلا يقتصر نفعه على الفرد الذى يقوم به فحسب بل يشمل ذلك الفرد والمجتمع.. وفى بعض الأحوال قد لا يكون الفرد فى حاجة إلى العمل لأنه غنى وذو مال، ولكن الإسلام يفرض عليه العمل لحاجة المجتمع اليه وليشارك فى عمارة الحياة، ولأنه قد يملك من المواهب ما يحتاج المجتمع اليه لإضافة جديد إلى العمل، وللنهوض به قدما إلى الأمام.

كما أن العمل فى الإسلام ليس أمرا خاصا بالدنيا فحسب، وإن كانت الدنيا زمنه الذى يحدث فيه إلا أن الإسلام ينظر إليه على أنه للدنيا بعمارتها، وللأخرة بالمثوبة والأجر عليه...

ولا يقتصر هذا الأجر على عمل دون غيره، بل إن العمل فى الإسلام شامل للعمل اليدوى والعمل الذهنى والعمل الإدارى والزراعى والصناعى والتجارى وهكذا...

وإذا نظرنا إلى نوع من أهم أنواع العمل، وهو «العمل الإدارى»، رأينا أن الإسلام قد أولاه عناية فائقة، فى تصحيح مساره فوجه المسئول عن العمل أيا كان موقعه أن يستشير الذين يعملون معه، وأن يأخذ برأيهم ويستأنس بفكرهم.

الشورى فى العمل الإدارى:

وإذا كانت الشورى مطلوبة فى كل أمر يقدم عليه الإنسان، لأنه لاخاب من استخار ولاندم من استشار، فإنها تكون أشد طلبا، وأعظم باعثا فى العمل الإدارى، وخاصة قبل اتخاذ القرار، وألا يستبد مسئول برأيه، لأن رأيه وحده نتاج عقل واحد، وأما أراء الأخرين فإنها نتاج عقول

كثيرة، وكل له فهمه واجتهاده وخبرته ولأهمية الشورى فى كل أمر ذكرها القرآن الكريم فى صفات المؤمنين الهامة بعد الصلاة وقبل الإنفاق فجاءت وسطا بين هاتين الفريضتين، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

وأمر الله تعالى بها رسوله ﷺ وهو النبى المعصوم، الذى يوحى إليه، ومع هذا أمره الله تعالى أن يستشير أصحابه، وجاء الأمر بذلك بعد غزوة أحد التى كان رأى من أشاروا بالخروج للحرب على غير ما يحب الرسول ﷺ وحدث فيها ما حدث من بلاء، ومع هذا يقول الله تعالى مخاطبا رسوله ﷺ: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله».

كما استشار عليه الصلاة والسلام أصحابه فى الخروج فى غزوة بدر وفى المكان الذى ينزل فيه جيش المسلمين، وفى أمر الأسرى، إلى غير ذلك من الأمور مع أنه نبى معصوم ويوحى إليه من ربه وما ذلك إلا لأن فى الشورى تقوية للرأى، وتجميعا لقلوب من يستشيرهم معه، ودعوة لاجتهادهم فى الأمر وإخلاصهم له.

ولقد وعى الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم أهمية الشورى، فجعلها سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول مبدأ له حين تولى الحكم، فقال ضمن ما قال: «إنى وليت عليكم.. ولست بخيركم فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فقومونى».

ورأينا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يتخلى عن الشورى طيلة حياته بل لم تفارقه حتى وهو فى النزع الأخير.. لقد كان أول من قرر الشورى فى انتخاب الخليفة، فعندما سألوه وقالوا له: من توصى به؟ قال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتمونى فى حفرتى فادع عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة، وأحضر عبدالله بن عمر ولا شئ له من الأمر ليكون منهم الخليفة قال شاعر النيل حافظ إبراهيم رحمه الله:

يا رافعا راية الشورى وحارسها ... جزاك ربك خيرا عن محبيها

(١) سورة الشورى ٣٨.

لم يلهك النزع عن تأييد دولتها وللمنية ألام تعانيها
وما استبد برأى فى حكومته إن الحكومة تغرى مستبديها
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف، ورأى الفرد يشقيها

لقد عاش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حياته كلها، لا يأخذ قرارا، ولا يبرم أمرا إلا بعد أن يستشير الكبار والصغار فيه، وكان يقول رضى الله عنه.

«أخوف ما أخافه عليكم إعجاب المرء برأيه» كما كان رضى الله عنه لا يكتفى بتطبيق مبدأ الشورى بنفسه بل كان يوصى به عماله ويوجههم إلى الأخذ بالشورى فى كل أمورهم.

العدالة فى الحكم والإدارة هى أساس الأمان:

العدل أساس الملك، والعدل أساس الأمن والاستقرار، فحيث انتشرت العدالة ولم يكن هناك ظلم من كبير إلى صغير أو من مسئول أو ولى الأمر لابد أن يستقر العمل ولابد أن تستقر الحياة أما فى جو الظلم، فلا يكون هناك أمن ولا استقرار فترى المظلوم متبرما من العمل ومن القائمين عليه، ولا ترى تعاونا بين العاملين الذين يشعرون بالظلم، فنهاية الظلم وخيمة، وعاقبته أليمة، وقد وضح الله تعالى أن الأمن والاستقرار للمؤمنين الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم، فقال جل شأنه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1].

ولقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليه العدالة على ناسه عندما طالبه أحد أحياء يهود بدين لم يأت موعده بعد فاشتد وأحتد فى الطلب مما أثار حفيظة سيدنا عمر رضى الله عنه فقال له النبى ﷺ: «لا ياعمر أنا وهو أولى منك بغير ذلك تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضى».

وفى ظل الحياة العادلة ترى الجميع أمنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولننظر إلى حياة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد طبق العدل فى أسمى معانيه، هاهو ذا يأتيه رسول كسرى بالمدينة فلم يجد له قصرا ولا بيتا متميزا عن سائر الرعية ويراه نائما

(١) سورة الأنعام ٨٢.

أمام بيته فدهش وقال قولته المشهورة: حكمت فعدلت فأمنت فنمت ياعمر، وقال فى هذه الواقعة شاعر النيل حافظ إبراهيم رحمه الله:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا ... بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها ... سورا من الجند والأحراس يحميها
رأه مستلقيا فى نومه فرأى ... فيه المهابة فى أسمى معانيها
فقال قولة حق أصبحت مثلا ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنت لما أقمت العدل ياعمر ... فنمت نوم قرير العين هانيها

إن الذين يعدلون فيما ولاهم الله تعالى هم الذين يجعلون من سلوكهم سببا لنشر الأمن والاستقرار فى الأرض. والعدل مطلوب فى العمل الإدارى كما هو مطلوب فى كل قول وفى كل عمل أخر، فهو مطلوب فى القول: «وإذا قلتم فاعدلوا» وهو مطلوب فى الحكم: «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل».

وهو مطلوب فى الاختيار وملء الأماكن بالكفاءات حتى لا تعصف الأهواء البشرية والرغبات الخاصة بأهل الجدارة والاستحقاق ففى الحديث «من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» إن العدالة فى الحكم والإدارة، من أهم الأسس التى ينجح بها العمل الادارى، ويستتب بها الأمن والطمأنينة والاستقرار.

التحذير من استغلال الجاه والنفوذ:

إن العمل الإدارى الناجح، هو الذى يقوم المسئولون به دون أن يتميزوا على سائر الناس بل يكونون قدوة لغيرهم فى عدم التميز، وفى عدم استغلال الجاه أو النفوذ، ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة فى ذلك فمع أنه أشرف المرسلين وخير خلق الله إلا أنه كان لايحب أن يميز نفسه على أحد من المسلمين ففى واقعة ذبح الشاة التى قال بعض أصحابه فيها أنا على ذبحها، وقال الأخر وأنا على سلخها وقال الثالث وأنا عل طبخها قال عليه الصلاة والسلام: «وأنا على جمع الحطب» فلما قالوا له كلنا يكفيك هذا يارسول الله؟ قال: علمت ذلك، ولكنى أكره أن أتميز عليكم.

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحذر أهله وعشيرته من استغلال اسمه أو قرابتهم منه، فيأمرهم أن يكونوا أخر من يشبع وأول من يجوع، ويحذر ولاته من استغلال نفوذهم أو الحصول على أيسر شئ باسم الوظيفة لقد أهدى إليه أحد ولاته حلوى فلما سأل حاملها قائلا «كل المسلمين يأكلون ذلك؟» أجاب حاملها بقوله: بل هى طعام الخاصة فرفض سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبولها وأمر الرجل الذى حملها أن يعود بها إلى الوالى وأن يقول له: عمر يأمرك ألا تأكل من طعام حتى يشبع منه قبلك جميع المسلمين.

وعندما مر ببعض الفُرق التى بدت عليها أثار النعمة والسمنة سأل عن الذى يملك هذه الجمال، فأجابوا بقولهم انها لعبد الله بن عمر، فإذا به يسوقها إلى بيت المال ظنا منه أن ثروة ابنه لا تفى لها، وأنه لولا جاهة بين الناس ما كان ليقدر على إطعامها.

وفى هذا يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم رحمه الله:

وماَ وَفى ابنَك عبدُالله أَيْنُقَهُ ... لما اطلعت عليها فى مراعيها
رأينها فى حماه وهى سارحة ... مثل القصور قد اهتزت أعاليها
فقلت ما كان عبد الله يشبعها ... لو لم يكن ولدى أو كان ينميها
ردوا النياق لبيت المال إن له ... حق الزيادة فيها قبل شاريها

وبمثل هذه الإدارة للمجتمع وللحياة، وبعدم تمييز المسئول عن الناس، وعدم استغلال الجاه والنفوذ ينجح العمل الإدارى ويكون المسئول فيه قدوة لمن معه، وتشرق الحياة بالعاملين المخلصين الذين لا يستعلون على الناس.

تفقد أحوال الرعية والوقوف على حاجاتهم:

ومن أسس الإدارة الناجحة: أن يتفقد المسئول سير العمل، وأن يتعرف على مشاكل الذين معه، ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه يسأل عمن يتأخر عن صلاة الجماعة، فيعود المريض، ويفرج كربة المكروب ويحمل مشاكل الناس.

وحل مشاكل الناس، وتفقد أحوالهم، لا يتفق مع بعض الأساليب التى لجأ إليها

البعض من التجسس والترصد لأسرار الناس، أو اتباع عوارتهم ففى الحديث: «إنك إن اتبعت عورتهم أفسدتهم أو كدت تفسدهم». إن تفقد أحوال الناس لحل مشاكلهم يختلف عن التجسس واتباع العورات ومحاولة تصيد الأخطاء.. ولقد طبق الخلفاء الراشدون هذا المبدأ خير تطبيق فها هو سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يتفقد أحوال الرعية ويتعسس ليلا فيعلم أن امرأة قد أوقدت النار توهم أطفالها الصغار أنها تقوم بطهى طعام لهم تريد أن تسكن من غضبهم وبكائهم بينما هى لا تقوم بطهى شىء، وإنما أوقدت النار على ماء وحصى تريد أن تلهى بذلك أطفالها الذين عضهم الجوع لينناموا، فحمل إليها من بيت المال الدقيق وما تحتاجه من طعام، بل وساعدها فى إشعال النار وأنضج لها الطعام، ولم ينصرف حتى أكل الأطفال واطمأن عليهم واستراحوا، يصور هذا شاعر النيل حافظ إبراهيم فيقول:-

ومن رأه أمام القدر منبطحا ... والنار تأخذ منه وهو يذكيها
وقد تخلل فى أثناء لحيته ... منها الدخان وقوة غاب فى فيها
رأى هناك أمير المؤمنين على ... حال تروع - لعمر الله - رائيها
يستقبل النار خوف النار فى غده ... والعين من خشية سالت مآقيها

وإذا كان سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمثالياته فى الحكم والادارة، جاء بما يصعب على البعض ـ اليوم ـ أن يأتى به، ويعجز البعض الأن ـ عن الإتيان بمثله، فإنه ليس بمستحيل أن يقترب المسئول من هذه النماذج العالية، وتلك المثاليات الراقية، فإن الذى قام بهذا النمط من السلوك ليس نبيا معصوما، وإنما هو من الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن نقتدى بهم حيث قال: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى».. ما أسعد الإنسان القائم بحل مشاكل الناس إنه لسعيد فى دنياه براحة الضمير وتوفيق الله تعالى له، وسعيد فى أخراه بما بشر به رسول الله ﷺ: «إن لله عبادا اختصهم الله بحوائج الناس إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة».

الرجوع إلى الحق:

الرجوع إلى الحق، من أهم أسس العمل الإدارى الناجح، وهو خير من التمادى فى الباطل وخير من الاستمرار على الخطأ أو ما ليس بمفيد...

وكثير من المسئولين يتعرضون لكثير من المواقف التى يتخذون فيها قرارا، أو يصدرون فيها بعض التوجيهات للذين يعملون معهم، ثم يتبين للذين معهم أن الأفضل هو إلغاء القرار أو إيقاف تلك التوجيهات لمجافلها للحق أو لبعدها عن الصواب، أو أن غيرها أفضل منها للعمل وللصالح العام... وكثير من الموفقين للحق من يدركون ذلك فيرجعون للحق ويرون أن الرجوع للحق خير من التمادى فى الباطل، فلا يرون حرجا أن يرجعوا عن قرارتهم أو توجيهاتهم، ولا يتبرمون من ذلك ما دامت المصلحة العامة تقضى ذلك، وكلنا بشر، وليس فينا أحد معصوم.. ولكن هنا فريق أخر يرى أن الرجوع إلى الحق وتغييره لقراره فيه نوع من الضعف أو ظهور له بمظهر المخطىء فى قراره الأول أو فى توجيهاته الأولى فيتمادى فى الباطل حتى يقهر على الرجوع عنه أو يوقع المصلحة العامة فى حرج أو طريق مسدود، وهذا من أفدح الأخطاء والخطايا التى يرتكبها مسئول فى مسيرته الإدارية وأولى له ثم أولى أن يرجع عن قراره إلى ما هو حق حتى لا يقع فى الخطأ ويوقع من معه فى حرج أو مأزق، وقد رجع رسول الله ﷺ وهو خير خلق الله عن موقفه يوم بدر ونزول الجيش إلى المكان الذى أشار به الحباب بن المنذر ورجع عن رأيه فى تأبيير النخل وقال أنتم أعلم بشئون دنياكم، وهذا فيما لاوحى فيه، وليعلم المسلمين الرجوع إلى الحق وهاهو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تسور الحائط على قوم يشربون الخمر ليأخذهم على غرة فأنكروا عليه أمورا ثلاثة وهى: دخوله عليهم من غير الباب وقد قال الله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [سورة البقرة: الآية: ١٨٩] وأخذوا عليه عدم الاستئذان وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [سورة النور: الآية: ٢٧] والتجسس عليهم وقد نهى الله عن ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [سورة الحجرات: الآية: ١٢]

فانثنى عنهم بعد أن لزمته حجتهم، قال حافظ إبراهيم رحمه الله:

قالوا مكانك قد جئنا بواحدة ... وجئتنا بثلاث لا تباليها
فأت البيوت من الأبواب ياعمر ... فقد يذم من الحيطان أتيها
واستأذن الناس أن تغشى بيوتهمو ... ولا تسلم بدار أو تحييها
ولا تجسس فهذه الآى قد نزلت ... بالنهى عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد أكبرت حجتهم ... لما رأيت كتاب الله يمليها
وما أنفت وإن كانوا على حرج ... من أن يحجك بالأيات عاصيها

ورع المسئول وحفاظه على المال العام:

ومن أسس الإدارة الناجحة: وجوب المحافظة على المال العام فليس هذا المال ملكا للحكومة كما يزعم البعض، فإن الحكومة شخصيات مؤقتة لهم أجال معينة وهم أمناء على المصالح العامة والأموال العامة ولا يملكون هذا المال بل هم أمناء عليه، أما ملكية المال العام فهى للدولة كلها ولكل فرد حق فيه فمن اعتدى عليه كان معتديا على حق الدولة كلها أفرادا وجماعات وكان المفرط فى إهداره أو ضياعة مرتكبا لأكبر الذنوب وكان رسول الله ﷺ يضرب أروع الأمثلة على ذلك فيأخذ الثمرة التى يجدها على الأرض فى بيته ساقطة ليأكلها ثم يعود فيلفظها ويقول: أخشى أن تكون من مال الصدقة.

وناهض عليه الصلاة والسلام بعض المحاولات لإهدار المال العام فى مهدها، عندما جمع ابن اللتبية مال الصدقة، وخص نفسه بما أهدى له وجاء يقول هذا لكم وهذا هدية أهديت لى، فقال رسول الله ﷺ: «هلا جلس فى بيت أبيه وأمه فيرى إن كان يهدى إليه أم لا؟» وها هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما أرادت زوجته أن تشترى الحلوى فأبى حتى يسد حاجة الجائعين المحتاجين إلى القوت الضرورى فلما ادخرت زوجته من مصروف بيتها ما تشترى به الحلوى وهو حلال أبى أن يتمتع أهل بيته بالشئ الكمالى وفى المسلمين بطون جائعة وأمر برد ثمن الحلوى إلى بيت مال المسلمين ليسد جوعة جائع منهم

يقول حافظ إبراهيم رحمه الله:

يوم اشتهت زوجة الحلوى فقال لها ... من أين لى ثمن الحلوى فأشريها
فأقبلت بعد خمس وهى حاملة ... دريهمات لتقضى من تشهيها
فقال نبهت منى غافلا فدعى ... تلك الدراهم إذ لاحق لى فيها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به ... أولى فقومى لبيت المال رديها

وهكذا كان ورع الخليفة فى أن يستمتع أهل بيته بشئ حلال وليس فى المال حينئذ بشبهة لأنه من مصروف البيت الخاص ولكنها النفوس الكبار التى ترفض التمتع بالطيبات فى وقت تحتاج فيه البطون الجائعة إلى العيش الضرورى.

النقاء الإدارى وعدم الإصغاء للمتسلقين:

ومن أسس العمل الإدارى الناجح: النقاء الإدارى، وأعنى به أن يكون الرئيس والمرءوس فى العمل يعيشان فى جو نقى، صاف من الأكدار ومن القيل والقال، فلا يحاول المرءوس أن يتسلق عن طريق نقل الكلام وهدم الأخرين والتسلق على أنقاضهم ورميهم بالنقائض وكتابة التقارير المنظمة والشكاوى المتعسفة والظالمة.

ولا يحاول المسئول أن يفتح بابه لبطانة السوء التى لا يهمها إلا المصلحة الخاصة، ولا يكون رجلا أذنا يسمع كل ما يقال، ويصدق كل ما يسمع وأن يعلم أن من نم «له نم عليه».

وقد وجه الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى سد منافذ القيل والقال وحذر أن يبلغه أحد عن أحد شيئا، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يبلغنى أحد عن أحد شيئا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

فإذا كان هذا رسول الله ﷺ وهو النبى المعصوم الموحى إليه وخير خلق الله، لايريد أن يسمع من أحد شيئا على أحد حتى لا يتأثر بكلام الغير على الناس، فما بالنا بنا نحن البشر إنه لأولى بنا أن.. نحافظ على أنفسنا وعلى إخواننا من فتح منافذ القيل والقال، وإلا نستمع إلى الذين يهدمون إخوانهم ليرتفعوا على أنقاضهم وعلى المسئولين الكبار أن

يقدروا هذا الخطر الذى يزلزل أركان العدالة، ويقوض حضارة الأمم ويجهض الحماس لدى المخلصين الذين لا ينالون حقوقهم بسبب عدوان القوالين والوسطاء وما يبتثونه من أقاويل الشر والسوء لإخوانهم فإن الله عليم بما فى الصدور.

❑❑❑

حقوق الجيران فى الإسلام

لقد أكد الإسلام حق الجوار، سواء كان جارا قريبا أم جارا أجنبيا أم كان جارا مرافقا فى السفر، أو زميلا فى تعلم العلم، أو كان جالسا إلى جوارك فى مجلس، فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

فنرى أن الأية الكريمة وصت بالجار ذى القربى، وهو الجار القريب له حق الجوار وحق القرابة، كما وصت بالجار الجنب: وهو الجار الأجنبى الذى لا قرابة بينك وبينه، كما وصت الأية بالصاحب بالجنب، وهو كما قال ابن عباس رضى الله عنهما: «هو الرفيق فى السفر»، وقال الزمخشرى: «هو الذى صحبك إما رفيقا فى سفر، أو جارا ملاصقا، أو شريكا فى تعلم علم، أو قاعدا إلى جنبك فى مجلس أو غير ذلك...» وقيل: هو المرأة.

وكانت الوصية بالجار مؤكدة لدرجة أن الذى نزل بها جبريل عليه السلام من قبل الحق تبارك وتعالى، ولم ينزل بها مرة ولا مرتين، بل نزل بها عدة مرات، ووصى بالجار كثيرا، حتى إن رسول الله ﷺ ظن أنه سيشارك الجار جاره فى الميراث كما يشارك القريب الوارث قريبه، فقد قال رسوال الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[2].

وجعل الإسلام إكرام الجار لجاره دلالة على الإيمان بالله واليوم الأخر، فقال صلوات الله وسلامه عليه: "من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم جاره"[3] كما جعل الإسلام من

(١) سورة النساء ٣٦.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

دلائل الإيمان وكماله أن يأمن الجار بوائق جاره أى غوائله وشروره، فقال صلوات الله وسلامه: «لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه»[1].

وايذاء الجار، وعدم القيام بحقه يحبط عمل صاحبه، لان الإسلام دين عبادة ومعاملة، ولذلك لما قيل لرسول الله ﷺ: «إن فلانه تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال ﷺ: «هى فى النار»[2].

ومن حقوق الجوار احتمال أذى الجار، ولا يكفى منع الأذى عنه ولا يكفى احتمال الأذى بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف للجار.

ومن حقوق الجار: أن يبدأ المسلم جاره بالسلام، ولا يكثر من السؤال عن حاله والتتبع لأخباره، وعليه أن يعود جاره إذا مرض وأن يعزيه إذا كان مصابا، ويهنيه إذا فرح، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع إلى عوراته، ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتطلع إلى ما يحمله إلى داره، ويرشده إلى ما يجهله من أمور دينه ودنياه، وفى الحديث: أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه وان مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه وإذا أشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها، ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، ثم قال: أتدرون ما حق الجار؟ «والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله»[3].

وللجار حق وإن لم يكن مسلما، قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال: ياغلام إذا سلخت فابدا بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا، فقال له: كم تقول هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه.

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه أحمد والحاكم.

(٣) أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عدى وهو ضعيف ولكن العمل به فى فضائل الأعمال.

ويوصى الإسلام الجارات المسلمات بتواصل الود بينهن فيقول ﷺ: «يانساء المسلمات لا تحقرن جارة جارتها ولو فرسن شاة»[1].

وعليه أن يطيع الله فى جاره فقد روى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له: إن لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على فقال: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه.

وأما إذا زاد الجار فى شره وايذائه لجاره ولم يُجد معه الصبر ولا الملاينة، فعليه بتحريك الرأى العام معه، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال له النبى ﷺ: «اصبر ثم قال له فى الثالثة أو الرابعة» اطرح متاعك فى الطريق قال: فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك؟ فيقول: آذاه جاره فجعلوا يقولون لعنه الله، فجاءه جاره فقال له: رد متاعك فوالله لا أعود[2].

❑❑❑

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه أبو داود والحاكم.

الدعوة لاستمرار التبرع لاحتواء آثار الزلزال وغيره من الكوارث

لقد كان حادث الزلزال، وما ترتب عليه من الخوف والفزع، وفقدان البعض لماله أو أهله، اختبارا وتنبيها، وتمحيصا كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1].

والزلزال كغيره من الظواهر الكونية، يرسلها الله تعالى ليطلع عباده على قدرته القادرة القوية، ليؤمن الجاحدون، وليزداد المؤمنون ايمانا على ايمانهم، ويتبين الناس جميعا الحق، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[2].

ونحن مأمورون تجاه الظواهر الكونية أن نستقبلها بالإيمان والعبادة والدعاء، ففى ظواهر الكسوف والخسوف والجَدْب أمرنا بصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء، وعندما كسفت الشمس يوم موت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وقال البعض: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فصلوا وأدعوا الله».

وما كانت هذه الظواهر غضبا ولا سخطا من الله كما يزعم البعض حتى وإن كانت بسبب ما كسبت أيدى العباد – فإن مثلها مثل تأديب الاب لابنه إنه ليس سخطا وغضبا أو كرها فى الولد وإنما للتعليم والتوجيه والتأديب والتنبيه، وزيادة الحب فيه.

ولا يمكن أن تفسر هذه الظواهر بأنها غضب أو سخط أو كراهية فقد كان يحدث مثلها فى أشرف القرون وأطهر العهود وفى عهد النبوة وعهد الصحابة والتابعين وحين اهتز جبل

(١) سورة البقرة ١٥٥ – ١٥٧.

(٢) سورة فصلت ٥٣.

أحـــد بالمدينة حيث وقف عليه رســـول الله ﷺ وأبو بكـــر الصديق وعمر وعثمان قال له الرسول ﷺ: «اثبت أحد فإن عليك نبيا وصديقا وشهيدين».

فهذه الظواهر الكونية التى تحدث ليست سخطا ولا كراهية من الله تعالى بل هى: إظهار لقـــدرة الله ليؤمن الجاحدون، ويزداد، الذيـــن أمنوا إيمانا، وهى ابتلاء واختبار للمؤمنين، وهى تنبية وتوجيه والإســـلام كما أمرنا باستقبال الظواهر الكونية بالإيمان والعبادة والدعاء أمرنا أيضا أن نأخذ فى الأســـباب، قال الله تعالى: ﴿وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾[1] وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[2] وكان رســـول الله ﷺ يأخذ بالأســـباب، بعد التوكل على الله تعالى والاســـتعانة به وذلك فى كل أفعالـــه وأحواله، فإذا طالبنا بدعم البحوث العلمية التى تقدم للوقوف على ما ينبغى اتخاذه من إجراءات والقيام برصد الظواهر وتوجيه الناس ليتصرفوا التصرف الحســـن والســـليم لا يكـــون هذا مخالفا للإيمان بـــالله بل هو من صميم الإيمان.

هـــذا وإن الوقـــوف بجانب منكوبى الزلزال والتبرع لهم وإنشـــاء المســـاكن والمدارس أمر واجب، ومما يثلج الصدر ما قدمه كثير من أهل الخير من تبرعات، حتى بلغ ما تبرع به بعض المحســـنين نصف ما يدخر والبعض قدم أكثر من ذلك، وأحب هنا أن أشـــير إلى أن الإنفاق فى وقت الضرورة وفى هذه الكوارث الحرجة يصح أن يكون من الزكاة لأنه يدخل فى مصرف الزكاة المنصوص عليه فى القرأن الكريم: «وفى سبيل الله».

ومن ناحية أخرى فهو يدخل فى مجال الصدقة الجارية التى يستمر ثوابها بعد الانتقال إلى الحيـــاة الآخـــرة ففى الحديث «إذا مات ابن أدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع أو ولد صالح يدعو له» والتبرع لبناء مساكن الإيواء والمدارس صدقة جارية.

بل إنه واجب – فى أوقات الكوارث والضرورة – لأن فى المال حقا ســـوى الزكاة، فقد قال ﷺ: «ان فى المال حقا سوى الزكاة»[3].

(١) سورة النساء ١٠٢.

(٢) سورة البقرة ١٩٥.

(٣) رواه الدارقطنى.

وقال ﷺ: «ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم» فإن الله تعالى جعل كفاية الأمة فى الأحوال التى بأيديهم جميعا فما نقص عند المحتاجين يكمل مما عند الاغنياء فعن على كرم الله وجهه ان النبى ﷺ قال: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقرائهم ولن يجهد الفقراء، إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما». رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير.

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».

وقد اتفق العلماء على أنه إذا نزلت حاجة أو نازلة بالمسلمين وكانوا قد أدوا زكاة أموالهم فإنه يجب صرف المال إليها.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين.

وإعلان التبرعات لا ينقض ثوابها ما دامت صادقة ولم يكن لدى صاحبها مراءاة للناس، فالأفضل للصدقة المقطوع بها أن تكون سرية ذلك أفضل وإن أظهر غير مراء بها فلا بأس بل إن إظهار الصدقة الواجبة كالزكاة فيه إظهار للشعيرة وقدوة للغير قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (١).

ففى إظهارها خاصة الواجبة والتى يمكن أن تدخل فى نطاق الزكاة كالتبرع ببناء المدارس التى أصيبت من حادث الزلزال وكغير ذلك من الضرورات والكوارث إظهار الإنفاق فى هذا وإعلانه فيه قدوة للغير وإظهار لشعائر الدين وتقوية للروح المعنوية، ولا يحقرن أحد شيئا يتبرع به مهما كان قليلا فإن القليل مع القليل يصبح كثيرا وفى الحديث: «يا نساء المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاه» وهو الشئ اليسير وإن دوام الإنفاق واستمرار التبرع خيرا وإذا تبرع الفقير مما عنده وكان عنده مثلا مائة فيتبرع بعشرة يكون

(١) سورة البقرة ٢٧١.

هذا أفضل ممن يتبرع وعنده بمائة وعنده الآلاف أو الملايين فخيركم من جاء بما عنده.

وإنى اقترح استمرار حملة التبرعات وأن ينشأ صندوق خاص بها وليكن ذلك فى صورة بنـك بمثابة بيت المال أو صندوق الزكاة، حتى بعـد أن تعالج أثار الزلزال علينا أن نتابع التبرعات وأن تستمر حملة التبرعات..

لقد ترددت اشـاعات بعضها مغرض، وبعضها يتهكم، وبعضها ظن السـوء بأن حجم التبرعات قد زاد وبدأ الهمس وأين ذهب وكيف يصرف..

وإنـى إزاء هذا لأقترح اسـتمرار حملة التبرعات وإنشـاء بنك أو صنـدوق ثابت لتلقى التبرعـات وأمـوال الزكاة ليصرف فيه على مثل هذه الكـوارث، وعلى الذين لا يجدون ما ينفقون ليكون بمثابة بيت المال أو صندوق الزكاة حتى لا ننتظر جمع التبرعات إذا حدثت كوارث – لا قدر الله – بل ننقذ المحتاج بما يكون فائضا من مال وبما هو موجود فى هذا البنك الخاص بالكوارث.

وإنى لعلى يقين أن هذا الاقتراح لو نفذ ووجهت إليه أموال الزكاة فإن الناس سيسابقون للتـبرع إليه خاصة حين يوقفـون أنه يصرف فى مصاريف الـزكاة على المحتاجين وعند الكوارث، لأن للوازع الدينى أثرة على النفوس أكثر وأشـد من أثر القانون الذى يسـتند إلى عقوبة الدنيا أو جزاء الدنيا والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

❑❑❑

الإسلام والإدارة بين التغيير والتنظيم والتطوير

الإسلام دين العمل والإنتاج يدعو أتباعه إلى إحسان العمل، ويحث على ممارسة جميع أنـواع العمل، إداريـا كان أوصناعيا أو ثقافيا أو تجاريا أو زراعيا... وما إلى ذلك من أنواع الأعمال.

وواضح أن العمل الإدارى يعتبر الموجه والقائد لتنظيم وتطوير منظمات العمل ومؤسساته.

وللإسـلام دعوته فـى النهوض بالعمل الادارى قدما للإمـام.. فحيث احتاج العمل إلى التغيـير أو التنظيم أو التطويـر، كان لابد على القائمين عليه أن يهبوا لتلبية حاجة العمل سيرا نحو النجاح والصالح العام.

ونجـاح كل عمل مرهـون بنجاح القيادة القائمة عليه، فحيث كان قائد العمل متسـما بسمات القيادة الناجحة استطاع أن ينهض بالعمل وبمن معه من العاملين .

سمات القيادة الإدارية الناجحة:

مـن أهم سمات القيادة الإدارية الناجحة «الإخلاص فـى العمل» وفى دائرة الإخلاص يؤدى المسـئول عمله على أكمل وجة وينظر إلى جميع الذين يعملون معه على أنهم سـواء، لا فـرق بـين واحد وأخر، ولا تفضيل لأحدهم على الأخر إلا بما يقدمه من عمل متقن، ولا يحابـى أحدا، ولا يؤثر بعضهم على الأخر ولا يولى أحدا محاباة له، لقرابة أو صداقة، أو سبب ما من الأسباب .

وعليه أن يختار «القيادات» الجديرة بالمنصب، فقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «من اسـتعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسـوله والمؤمنين» رواه الحاكم.

فرئيس العمل الذى يحابى أحدا على أحد، ويقدمه على غيره، ويؤخر الرجل الكفء، جزاؤه أليم، وعقابه شديد، فقد قال رسول الله ﷺ: «من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ويدخله جهنم» رواه الحاكم.

ومن أسباب الفساد الإدارى أن يوسد الأمر إلى غير أهله، وأن يسند العمل أو المنصب إلى غير الجدير به حتى عد الرسول ﷺ ذلك من علامات الساعة، فقد جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ قائلا: متى تقوم الساعة؟

فقال له الرسول ﷺ: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. فقال: وكيف إضاعتها؟

قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» رواه البخارى.

وهنا نقول: لابد من «التغيير» فهو الحل الحتمى للإصلاح الإدارى للعمل حتى لا يسند عمل إلى غير أهله، وحتى لا يظلم المستحق فيؤخذ عن المكان الذى رشحته له كفاءته وجدارته...

وهناك من يبرر لنفسه إسناد المنصب أو الموقع المعين للإنسان المعين الذى تربطه به رابطة القرابة أو الصداقة أو غير ذلك يبرر لنفسه ذلك بحجة أنه موطن ثقته، وأنه الحفيظ على أسراره إلى غير ذلك من الأسباب التى ينتحلها بعض الناس تبريرا للمحاباة والتحيز، وليس ذلك بصحيح... وعلى القائم على الأمر أن يُعيد الحق إلى صاحبه وأن يغير الوضع الراهن إلى مافيه المصلحة العامة لا المصلحة الفردية.

ومن أهم السمات الإدارية: «الأمانة» فى استعمال المال العام والبعد عن استغلال النفوذ، وعن أخذ شىء من المال العام بغير وجه حق، فقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول» رواه أبو داود.

وأن ينأى بنفسه عن التلوث «بالرشوة» خاصة التى تأتى فى صورة هدايا مقنعة، فقد قاومها الرسول صلوات الله وسلامه فى مهدها، فقد استعمل النبى ﷺ رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، هذا أهدى إلى، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد.. فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى لله فيأتى فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت لى، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا؟ والله لايأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خورا أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطية: اللهم هل بلغت رواه مسلم.

وإذا كان القائم على العمل غير أمن على المال العام، وغير حفيظ عليه فلا حل فى هذه الحالة إلا «التغيير» وليقم بهذا العمل من يصون حرمة المال العام فلا يخون ولا يفرط، ولا يقوم بالصرف منه على المظاهر التى لا تعود بالمنفعة العامة.

ومن أهم سمات العمل الإدارى والقائد الإدارى للعمل أن يكون مستوعبا لروح العمل ومجالاته ولا يستبد به «الروتين» أو «البيروقراطية» بل عليه أن يتسم بالمرونة فى العمل، وبالرفق مع العاملين، وليس معنى الرفق أن يتهاون مع المقصرين، بل أن يكون سمح المعاملة رفيقا بمن معه لا يشق عليهم ولا يتساهل معهم ولقد دعا رسول الله ﷺ لمن رفق بالعاملين المؤمنين حيث قال ﷺ: « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فأرفق به ومن ولى من أمر أمتى فشق عليهم فأشفق عليه».

فإذا استبد الروتين والبيروقراطية بالعمل دمرت أسس النجاح فيه، والحل هو «تغيير» أسلوب العمل، وتغيير المتعاملين بالتعقيد للنهوض بالعمل وبإصلاح الإدارة القائمة حتى لا يتفشى الروتين، وتنخر البيروقراطية فى قطاعاته وأروقته.

ومن أهم سمات القيادة الادارية الناجحة: الأخذ بمبدأ الشورى وعدم تركيز سلطة اتخاذ القرار فى يد المسئول الكبير لأنه يترتب على ذلك تأخير العمل، وفقدان القيادات التى تحمل للثقة فى أنفسهم فقائد العمل الإدارى الذى لايركز السلطة كلها فى يده بل يشرك غيره فى العمل ويفوض المسئولين معه فى بعض الأعمال حتى يتاح له وقت أكبر فى التفكير وفى التنظيم والتطوير، وحتى لا يضيع وقت المسئول الإدارى فى توزيع كل فكرة فى كل شئ، «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه».

فما يسمى بلغة الإدارة: «مركزية الإدارة» فيه تقييد، وتأخير للإنتاج والإصلاح، والمصلحة العامة.

ولا يستطيع فرد واحد أن يواجه تحديات العمل الإدارى، بل عليه أن يعطى الفرصة لمن معه وأن يتيح لهم إبداء أرائهم وإسهامهم فى نجاح العمل.

فإذا كانت مركزية الإدارة وتركيز السلطة فى يد الفرد خطى على المصلحة العامة، فإن الحل هو تغيير هذا الاسلوب وذلك بإعطاء الفرصة للمشاركين أن يمارسوا حقهم فى إدارة المنظمة أو المؤسسة ضمانا للصالح العام.

وكما يحتاج نجاح العمل تحقيق المصلحة العامة إلى تغيير بعض القائمين تأكيد الأهمية المسار الإدارى، وتنفيذا للإصلاح...

فإن هناك بعض القائمين بالعمل قد لا يحتاج الإصلاح إلى تغييرهم ولكنه يحتاج إلى مدهم بالمعلومات وتنظيم وتعديل بعض مواقعهم أو تطوير أدائهم عن طريق الدورات التدريبية.

وفى هذا الجانب، تجدر الإشارة إلى التركيز على زيادة العلم، والمعرفة والخبرة، فكل رئيس فى عمله وكل مرءوس أو عامل فى حاجة إلى مزيد من العلم والمعرفة والخبرة.

ولذلك نجد القرآن الكريم يطلب من رسول الله ﷺ أن يسأل ربه سبحانه وتعالى أن يزيده علما على علمه، مع أنه يوحى إليه من ربه، فيقول رب العزة سبحانه وتعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[1].

فى مجال الأعمال وأساليبها ومناهجها: وكما يكون النهوض بالعمل عن طريق التغيير أو التنظيم أو التطوير للأشخاص، فإنه أيضا يكون فى مجال الأعمال نفسها وأساليبها ومناهجها...

بمعنى أن ضرورة التسامى والنهوض بمجال الأعمال ملحة وواجبة حتى تتواكب أعمالنا ومنظماتها ومؤسساتها مع التقدم الحضارى الذى تشهده الأجيال والدول الحديثة، وحتى تساير الثورة التكنولوجية والعلمية التى تموج بها دول العالم اليوم، ولو نظرنا إلى الإسلام، لوجدنا أن القرآن الكريم قد دعا إلى العلم والمعرفة والثقافة والقراءة فى أول أية من الوحى الإلهى نزلت على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حيث قال جل شأنه لرسوله عليه الصلاة والسلام:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2].

وأمر الله تعالى أن تأخذ بأسباب القوة والتقدم وأن نبذل فى سبيل ذلك أقصى ما فى

(١) سورة طه ١١٤.

(٢) سورة العلق ١ – ٥.

الوسع الإنسانى، فقال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

وأن يكون «التغيير» فى هذا المجال من حسن إلى أحسن ومن هام إلى أهم، فمن التوجية النبوى: «حاربهم بما يحاربونك به» وهذا يقتضى التنظيم والتغيير والتطوير فى أساليب الأعمال وفى مناهجها.

□□□

(١) سورة الانفال٦٠.

التقوى:
سماتها وثمراتها

إن التقــوى: هى أن يبتعد العبــد عما يغضب الله، ويفعل ما أمر الله به، فيجعل بينه وبــين ما يخافه من رب العزة ســبحانه وتعالى وقاية تقية من غضــب الله وعذابه، فيلتزم فعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه.وقد تضاف التقوى إلى اسم الله كما فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾[1]، وقد تضاف إلى العقاب مثل: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ ﴾[2]. وقد تضاف إلى الزمان كما فى قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[3].

وأحيانا يغلب استعمال التقوى على اجتناب ما حرم الله والبعد عما يغضبه من المعاصى، فقد ســئل أبو هريرة رضى الله عنه عن التقوى فقال: أخذت طريقا ذا شــوك؟ قال: فكيف صنعت قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال: ذاك التقوى.

وكتب ابن الســماك الواعظ إلى أخ له: أما بعد، أوصيك بتقوى الله الذى هو نجيك فى ســريرتك، ورقيبــك فى علانيتك، فاجعل الله من بالك علــى كل حال فى ليلك ونهارك، وخــف الله بقــدر قربه منك وقدرتــه عليك، واعلم أنك بعينه ليس تخرج من ســلطانه إلى ســلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك والســلام «وقــال أبــو الجلد: أوحى الله إلى نبى من الأنبياء قل لقومك ما بالكم تســدون الذنوب من خلقى وتظهر ونها لى إن كنتم ترون أنى لا أراكم فأنتم مشــركون بى، وإن كنتم ترون أنى أراكم فلم تجعلونى أهون الناظرين إليكم»[4].

والتقــوى: هــى وصية الله للأولين والأخرين، وللســابقين واللاحقين قــال الله تعالى:

(١) سورة الحشر ١٨.
(٢) سورة آل عمران ١٣١.
(٣) سورة البقرة ٢٨١.
(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ (١).

والتقوى: هى علامة على الإيمان، وسمة من أهم سماته قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾(٢) وقال جل شأنه ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (٣).

وقد وضح رب العزة سبحانه وتعالى صفات المتقين فى مواطن عديدة من القرآن الكريم، ففى أول سورة البقرة قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة البقرة: الآيات: ٢-٤].

فذكر الله سبحانه وتعالى فى صدر سورة البقرة من أوصاف المتقين: الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق والإيمان بما أنزل إلى رسول الله ﷺ وما أنزل من قبله، واليقين بالآخرة، والإيمان بما فيها من بعث ونشور، وجزاء وحساب، وجنة ونار.

فنلاحظ أن القرآن وصف المتقين بصفات تجمع بين الإيمان والعمل وبين العبادة البدنية كالصلاة وبين العبادة المالية كالإنفاق، وبين الإيمان بما أنزل إلى الرسول ﷺ والإيمان بما أنزل من قبله على الرسل السابقين والإيمان بالأخرة وما فيها... فأشار إلى أهم أنواع الإيمان وأهم أنواع العبادات... وكان التركيز على الجانب الإيمانى لأنه لاتقوى بدون الإيمان. قال عطاء رضي الله عنه: لقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ فسألته: ما كان وصية أبيك عند الموت؟ قال: دعانى أبى فقال لى: يابنى اتق الله واعلم أنك لن تتقى الله حتى تؤمن بالله، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره فإن مت على غير هذا دخلت النار إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر: ماكان وما هو كائن إلى الأبد»(٤).

(١) سورة النساء ١٣١.
(٢) سورة المائدة ٥٧.
(٣) سورة المائدة ٨٨.
(٤) رواه الترمذى – القدر.

ومن صفات المتقين فى القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[1].

وفى سورة آل عمران، وصف الله تعالى المتقين بصفات تجمع بين التكافل الاجتماعى بالإنفاق فى السراء والضراء، وبين مراعاة الجانب النفسى والمعنوى بكظم الغيظ، والعفو عن الناس والإحسان إليهم والتوبة الصادقة فقال جل شأنه:

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[2].

أما عن ثمرات التقوى: فبالتقوى يأمن الخائف ويفرح المحزون، فلا خوف على المتقين فى الدنيا ولا خوف عليهم فى الأخرة، ولا هم يحزنون فى الدنيا ولاهم يحزنون فى الأخرة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾[3].

ومن ثمرات التقوى: تسيير الله للتقى أموره للقيام بعمل الخير والطاعة وفعل الطاعات والبعد عن المحرمات، فيهيء الله من اتقى إلى العمل الخير والاستمرار فى الطاعة، ويسهل الله عليه الخصلة التى تؤدى إلى اليسر، قال الله تعالى:

«فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى «أى من أعطى ماله منفقا له

(١) سورة البقرة ١٧٧.

(٢) سورة آل عمران ١٣٣ – ١٣٦.

(٣) سورة الأعراف ٣٥.

فى سبيل الله وابتغاء مرضاة الله واتقى الله وصدق بالحسنى فسيهيئه الله لليسر فى كل أموره، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾[1].

ومن ثمرات التقوى: سعة الرزق، والبر كنز فيه، بحيث يرزق الله المتقين رزقا واسعا، ويفتح عليهم بركات من السماء والأرض، وينزل عليهم المطر، وينبت لهم الثمار، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2] إن الله سبحانه وتعالى مع المتقين ومن كان فى معية الله فلا خوف عليه، فهو فى الرعاية الربانية، والعناية الإلهية، يعينه وينصره، ويمده بالعون.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾[3].

ومن ثمرات التقوى حفظ الله للمتقين من كيد أعدائهم: فإذا اتقى الانسان ربه سبحانه وتعالى، وصبر على الأذى الذى يلحقه، فإن الله تعالى يكون معه بالعون والتأييد، يرد عنه كيد عدوه، فلا يضره فشرط نفى الضرر أن يكون صابرا وأن يتقى الله فى قوله وفعله وفى كل سلوكة، قال سبحانه: ﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [سورة آل عمران: الآية: ١٢٠].

ومن ثمرات التقوى: تنوير القلوب وغفران الذنوب ومضاعفة الرحمة فمن أتقى الله أضاء الله قلبه بنور العلم والمعرفة والهداية فيكون لديه فرقان يفرق به بين الحق والباطل، ويمحو الله عنه ما سلف من الذنوب والآثام ويغفرها له ويسترها عليه ولا يؤاخذه بها، لأن التقوى تجب ما قبلها فهى توبة ورجوع إلى الله وعمل للصالحات قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾[4] وبين سبحانه أن الله يضاعف للمتقين رحمته ويجعل لهم نورا يمشون

---

(١) سورة الطلاق ٤.

(٢) سورة الأعراف ٩٦.

(٣) سورة النحل ١٢٨.

(٤) سورة الأنفال ٢٩.

بـــه، ونورا فى الأخرة يســيرون به على الصراط حيث قال جل شــأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ ﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[3]. وقــال ســبحانه: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[4].

ومــن ثمرات التقــوى أنها طريق الفلاح، والفوز والنجاح فالمتقون هم المفلحون والســعداء فى الدارين، فى دار الدنيا وفى دار الأخرة قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[6].

ومــن ثمرات التقــوى: أن المتقين يحظون بمحبة الله ســبحانه وتعالى فمــن اتقى الله، واجتنب المحارم وأدى الطاعات فإنه يسعد بحب الله ومن أحبه الله، فاز فى الدارين قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[7].

ومــن ثمرات التقوى تفريج الكروب وكشــف الهمــوم والرزق من حيث لايحتســب العبد قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾[8] وقد روى أنها نزلت فى

---

(١) سورة الحديد ٢٨.
(٢) سورة الطلاق ٥.
(٣) سورو الأنعام ١٥٥.
(٤) سورة الأعراف ١٥٦.
(٥) سورة آل عمران ٢٠٠.
(٦) سورة النور ٥٢.
(٧) سورة آل عمران ٧٦.
(٨) سورة الطلاق ٢، ٣.

عوف بن مالك الأ شـجعى أسر المشـركون ابنه فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقه وقـال إن العدو أسـر ابنى وجزعت أمه فماتأمرنـى؟ فقال ﷺ له: «اتق الله واصبر وأمرك وآياها أن تستكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» ففعل هو وأمرأته فبينا هو فى بيته إذ قـرع ابنه الباب ومعه مائه من الإبل غفل العدو فاسـتاقها فنزلت «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب»[1].

وهكـذا نرى أن للتقوى ثمرات فى الدنيـا وثمرات فى الأخرة، فمن ثمرات التقوى فى دنيا الإنسـان أن فيها الأمان والفرح وتيسـير الأمور وسعة الرزق وحفظ الله المتقين من كيد أعدائهم وتنوير قلوبهم وتفريج الكروب والرزق من حيث لا يحتسب الإنسان.

ومن ثمراتها فى الأخرة: الفلاح ورحمة الله والفوز برضوان الله ودخول الجنة التى وعد الله بها المتقين قال تعالى:-

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾[3].

وقال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[4]

والتقـوى هـى خير زاد للأخر، قـال تعـالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[5].

ولأهمية التقوى كان التوجية النبوى يأمر بها فى كل وقت وحين وفى كل وزمان ومكان وحيثما كان الإنسـان فقال صلوات الله وسـلامه عليه: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»[6].

---

(١) رواه الطبرى.

(٢) سورة آل عمران ١٥.

(٣) سورة الذاريات ١٥.

(٤) سورة القمر ٥٤، ٥٥.

(٥) سورة البقرة ١٩٧.

(٦) رواه الترمذى.

سماحة الإسلام
بين أهل الأديان

إن سر انتشار الإسلام، واعتناق الناس له، ودخولهم فى دين الله أفواجا، هو منهاجه الربانى، الذى أنزله رب العزة سبحانه وتعالى على رسوله صلوات الله وسلامه عليه، هذا المنهاج الذى أمر الله تعالى فيه بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن.

إنه منهج دعوة، وليس إكراها ولا تشددا ولا عنفا قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(١).

وما أقر الإسلام العنف ولا التشدد ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾(٢).

وقال سبحانه لموسى وهارون – حين بعثهما إلى فرعون الذى إدعى الألوهية –: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣) وعندما خافا أن يبطش بهما، بين الله تعالى أنه معهما يسمع ويرى ويؤيدهما فى دعوتهما، فالله سبحانه يؤيد كل داع يستجيب لمنهاجه، ويدعو بالقول اللين الذى لا ينفر، فقال تعالى – ردا عليهما – ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾(٤).

وقد ضرب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أروع الأمثلة فىالتسامح، فكان لين الجانب، طيب المعاملة سمحا فى الأمور حتى مع أعدائه الذين حاربوه من قبل، كما حدث مع ثمامة بن أثال الذى عرض عليه الإسلام ثلاث مرات وكان لا يقبل فى كل مرة حتى أمر النبى ﷺ بإطلاق سراحه، فكان هذا العفو والتسامح سببا فى دخول الرجل فى الإسلام، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله... وأقر الرجل بما كان

(١) سورة النحل ١٢٥.
(٢) سورة البقرة ٢٥٦.
(٣) سورة طه ٤٤.
(٤) سورة طه ٤٦.

عليه قبل هذه المعاملة السمحة من قبل، من عداوة وكراهية للإسلام فقال إنه ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك وقد أصبح أحب البلاد إلى وما كان من وجه أبغض إلى من وجهك وقد أصبح أحب الوجوه إلى وما كان من دين أبغض إلى من دينك وقد أصبح أحب الأديان إلى، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، ودخل الإسلام بفضل سماحه النبى عليه الصلاة والسلام.

من أجل هذا قاوم الإسلام العصبية، ودعا إلى التسامح ففى الحديث: «ليس منا من دعا إلى عصبيه».

ولم يقتصر تسامح الإسلام مع أهل الكتاب فحسب، بل إنه شمل حتى المشركين فدعا الإسلام إلى منحهم الجوار والأمان حين يطلبه أحد المشركين، فقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[1].

بل إن الإسلام يعتبر ضرب الإنسان الفاجر أو المعاهد دون ذنب أو سبب جريمة يتبرأ الرسول ﷺ من صاحبها فيقول: «ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لعهد ذى عهدها فلست منه وليس منى»[2] وذلك حتى لايأخذ الناس بعضهم بعضا بالظن وحتى لاتكون الحياة فوضى فالإسلام لايقر الظلم ولا العدوان حتى على الفاجر أو من كان معاهدا، فالفاجر فجوره على نفسه وحسابه على الله ولسنا مطالبين حياله إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبمراتب مقاومة المنكر التى أخبر بها الرسول ﷺ حين قال: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[3].

وليس لأحد كائنا من كان أن يعطى نفسه الشرعية والحق فى ضرب الناس أو إكراههم باسم الإسلام، فإنه بهذا التصرف يسئ إلى الإسلام وإلى سماحته.

وقد عنى الإسلام برعاية أهل الكتاب، فقرر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهم كفالة

(١) سورة التوبة ٦.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

فى بيت مال المسلمين، فقد روى أنه مر بباب جماعة، فوجد سائلا يسأل – وهو شيخ كبير ضرير – فسأله قائلا: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودى: فسأله ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحالة والسن فأخذ عمر بيده إلى منزله، وأعطاه ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.

وما حدث فى تاريخ سلفنا إهانة أحد من أهل الذمة، بل إن حدث أى تجاوز كان يعالجه الإسلام فى الحال، فعندما شكا إلى عمر أحد الأقباط ابن والى مصر عمرو بن العاص الذى لطم أبنه عندما غلبه ابن القبطى فى السباق، وقال: أنا ابن الأكرمين، أسرع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإحضار والى مصر وابنه إلى مكة فى موسم الحج وأعطى عمر الدرة لابن القبطى وأمره أن يقتص من ابن الأكرمين، ثم قال لعمرو كلمته المأثورة «متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا».

وقد أقام الإسلام العدل بين عنصرى الأمة المسلمين وغير المسلمين ومن رسالة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى قاضى القضاة أبى موسى الأشعرى قال له: «آس بين الناس فى وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك» فلا يصح التفرقة بين المتخاصمين حتى ولو كان أحدهما غير مسلم، وقد روى أن يهوديا خاصم سيدنا عليا بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فنادى أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه بقوله: «قف ياأبا الحسن فبدا الغضب على على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكرهت أن نسوى بينك وبين خصمك فى مجلس القضاء؟ فقال على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا، ولكنى كرهت منك أن عظمتنى فى الخطاب فناديتنى بكنيتى ولم تصنع مع خصمى اليهودى ما صنعت معى وهكذا نرى كيف عامل سلفنا أهل الكتاب، وكيف أظهروا سماحة هذا الدين الذى لا يقر العصبية ولا يرضى الظلم حتى لغير المسلمين بل يدعو إلى التسامح والعدل معهم... وهذا النهج المتسامح للإسلام مع أهل الأديان الأخرى هو سر ذيوعه وانتشاره فى ربوع المعمورة...

□□□

الدعوة إلى توفير الرعاية الاجتماعية للمحتاجين مع بعض الظواهر الاجتماعية... ورعاية أصحابها

(١) العاهات البدنية «الإعاقة» رعاية المعاقين

إن الإنسان الذى خلق بعاهة فى جسده، أو طرءت عليه العاهة بعد ذلك يجب على الأسرة والمجتمع أن يبذلو له من الرعاية الاجتماعية ما يجعله عضوا صالحا فى المجتمع، نافعا لنفسه ولغيره.

كما يجب رعايته نفسيا، والدعوة إلى عدم إيذائه بالقول أو بالفعل أو السخرية أو اللمز أو التنابز بالألقاب، لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾[1]. وإن رعاية المعوقين نفسيا واجبة، حتى لاتولد المعاملة السيئة «العقد النفسية»، وحتى لاتؤثر السخرية أو الهمز أو اللمز بهم وحتى لاتولد روح الحقد الاجتماعى بالنسبة للمجتمع وحتى لا يتولد فيهم التشاؤم بل على الأسرة والمجتمع رعاية حقوقهم ومعاملتهم بالمحبة والتراحم، ونصيحة من معهم ومن يحيطون بهم وأن يعاملوهم بالمودة الحسنى. وعليهم أن يحذروا الشماته، لقوله ﷺ: «لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك»[2].

ولقد حذر النبى ﷺ من ذكر العيوب الجسدية أشد التحذير فقد روى أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت للنبى ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا – «تشير إلى أنها قصيرة»– فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»[3].

(١) سورة الحجرات ١١.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه أبو داود والترمذى.

ولقد قال ﷺ – عندما ضحك البعض لنحافة ساق عبدالله ابن مسعود – «إنها لأثقل فى الميزان من جبل أحد».

(٢) رعاية الأيتام

لقد أوجب الإسلام على الأوصياء، وعلى المجتمع بصفة عامة رعاية الأيتام لأنهم فقدوا – منذ الصغر – أباهم، الذى يربيهم ويرعاهم، وحرموا من العطف الذى ينعم به سواهم، فوجب على الأوصياء عليهم أن يعوضوهم ما فقدوه، وأن يبذلوا لهم ما يحتاجون إليه من رعاية وتربية ومحبة وحنان، حتى يصبحوا أعضاء نافعين فى الأسرة الإنسانية، وحتى لا يتحول البعض منهم إلى الضياع.

فمن توجيهات الإسلام، فى رعاية الأيتام، الدعوة إلى إصلاحهم، لأن فى إصلاحهم خيرا كثيرا، فقال تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾[1]. وأمر سبحانه بالإحسان إليهم فقال: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾[2] وذكر الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه كان يتيما يستثير فيه وفى الأمة عاطفة المودة والحنان، وحتى لايشعر الأيتام بنقص أو هوان، ونهى من قهر اليتيم واتجه النهى إلى أشرف الأنبياء والمرسلين وفى هذا نهى لغيره من باب أولى عن قهر اليتيم فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ ﴾[3]. وجعل القرآن دفع اليتيم بعنف وعدم الرقة والحنان معه من علامات التكذيب بيوم الدين فقال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾[4]. ونهى الإسلام عن

(١) سورة البقرة ٢٢٠.
(٢) سورة النساء ٣٦.
(٣) سورة الضحى ٦، ٩.
(٤) سورة الماعون ١، ٢.

الاقتراب من مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ سن الرشد فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾[1]. وفى النهى عن قرب المال تأكيد ومبالغة فى التحذير والنهى عن أكله من باب أولى، إلا بالتى هى أحسن باستثمار المال حتى لا ينقص، قال ابن عباس رضى الله عنهما: هو أن يعمل له عملا مصلحا فيأكل منه بالمعروف. وأمر القرآن الكريم بإعطاء اليتامى أموالهم إذا بلغوا، وألا يستبدلوا الحرام من أموال اليتامى بالحلال وهو ما لهم وألا يخلطوا الأموال ببعضها ليأكلوها جميعا فهذا ذنب عظيم، فقال تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[2].

ونهى الله تعالى من إعطاء المسرفين والمبذرين من اليتامى أموالهم حتى لا يضيع، وأمر سبحانه باختبارهم حتى إذا بلغوا سن النكاح، ورأوا فيهم أنهم يصلحون فى تصريفها فليعطوهم أموالهم وألا ينفق الأوصياء منها على أنفسهم مسرفين قبل أن يكبر اليتامى فيأخذوها منهم، وعلى الوصى الغنى أن يعف وعلى الفقير أن يأخذ بقدر حاجته، وبقدر أجرته، وإذا سلم الأوصياء الأموال إلى اليتامى عند سن الرشد فعليهم أن يشهدوا على ذلك لئلا يجحد أحدهم ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[3].

وذكر الله تعالى الأوصياء على اليتامى بموقفهم عندما يفارقون الحياة ويتركون ذرية ضعاف ويخافون عليهم، فعليهم أن يراقبوا الله فيمن فى أيديهم من اليتامى وعليهم أن يعاملوهم بما يحبون أن يعاملو به أبناؤهم من بعدهم فقال جل شأنه: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ

(١) سورة الأنعام ١٥٢.

(٢) سورة النساء ٢.

(٣) سورة النساء ٥، ٦.

لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾[1].

ثم وضحت الأيات الكريمة خطورة أكل مال اليتيم ونهاية من يظلم اليتيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾[2].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا»، فقيل: من هم يارسول الله؟ قال: ألم تر إلى الله يقول: «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا» ألا فليتق الله الأوصياء على اليتامى والذين يقومون على شئون الجمعيات الخيرية، وألا يهملوا شئون اليتامى مكتفين بالدعايات والتقارير الشكلية بل عليهم أن يشرفوا على الأيتام إشرافا جادا، وعلى المجالس الحسبية أن تكون دقيقة غاية الدقة فكم من حيل للأوصياء وكم من سبل اصطنعها رجال القانون الوضعى، والقلة من المحامين فى التحايل علىأموال اليتامى.

وعلى المسئولين وولاة الأمر أن يراقبوا كل ذلك فى دقة وحيطة بالغة لأن أمر اليتامى خطير، وإهمالهم فيه شر مستطير على اليتامى من جهة وعلى البيئة والمجتمع من جهة أخرى. وفى رعايتهم والقيام بشئون حياتهم، وتكوينهم وتربيتهم رفعة للمجتمع وإصلاح لأفراده وجماعاته، فربما ظهر من بينهم عالم كبير، أو مخترع عظيم، أو قائد ماهر، أو ذو عقلية تنفع المجتمع «وهم فى كل الأحوال حين ينالون الرعاية الأجتماعية يصبحون أعضاء نافعين، ومواطنين مخلصين».

(٣) علاج المتسولين

عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «ليس المسكين الذى يطوف على الناس، فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»[3].

(١) سورة النساء ٩.

(٢) سورة النساء ١٠.

(٣) رواه مالك وأحمد والبخارى ومسلم.

إن المسكين الذى يعنيه الحديث، لايجد ما يغنيه وفى الوقت نفسه لا يسأل الناس، فحرى بمثله أن يتنبه الناس إليه، وأن يعطفوا عليه، فهو أولى من غير المحتاجين، وبعض المتسولين المحترفين، هذا وإن الإسلام هو دين الرحمة والتعاون أمر بالصدقة والإنفاق على الفقراء والمحتاجين والمساكين، ولكنه لم يبح الصدقة للأغنياء ولا لصاحب القوى الذى يستطيع أن يعمل كما جاء فى الحديث: «لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى» أى لذى قوة وسليم الأعضاء.

ولكننا نرى بعض المتسولين الذين يحترفون ظاهرة التسول مستغلين دعوة الإسلام الى الصدقة ومشروعية الإنفاق والزكاة والتعاطف وقد يكون أحدهم قادرا على العمل ومستطيعا للكسب، ومثل هؤلاء عالج الإسلام مشاكلهم بالدعوة إلى العمل سبيلا للرزق، وحفاظا على ماء الوجه...

إن الإنسان المسكين الذى يستحق الصدقة هو الذى لا يجد ما يحتاجه أو الذى سدت أمام وجه سبل العمل فلم يجد شيئا، ومع هذا فإن الإسلام أمر المحتاج القادر أن يعمل ولو أن يحتطب أى يجمع الحطب ويبعيه وهو مثل لأبسط أنواع الأعمال.

وقد وضح الرسول ﷺ المسكين الذى يستحق الصدقة حين قال: «ليس المسكين الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه».

وحذر عليه الصلاة والسلام من عاقبة المسألة حين قال: «لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس بوجهه مزعة لحم»...

وهكذا يعالج الإسلام ظاهرة التسول بالبحث عن العمل والسعى على الرزق حتى لا يصبح بعض الناس عالة على غيرهم وحتى تتراءسى صورة المسلمين فى عزة وكرامة، وألايمدوا أيديهم فاليد العليا خير من اليد السفلى...

وليس فى هذا حرج على الفقراء والمساكين، والمحتاجين. فقد أوجب الإسلام فى أموال الأغنياء حقا معلوما للسائل والمحروم، إنما أراد الإسلام بهذه الوصايا أن يقاوم ظاهرة التسول وأن يعالج أصحابها حتى ينتظموا فى صفوف المجتمع أعضاء عاملين يتسمون بالعزة، حتى إن القرآن الكريم قد أثنى على بعض الفقراء الذين يحسبهم الناس أغنياء من

التعفف لأنهم لا يسألون ولا يمدون أيديهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[1].

(٤) رعاية المسنين

عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ماأكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه»[2].

إن الإسلام يدعو إلى توقير الكبير، ورعاية حق المسنين، أولئك الذين قضوا زهرة حياتهم فى خدمة المجتمع، وإن إكرامهم ورعايتهم لمن الواجبات التى دعانا اليها رسول الله ﷺ وبشر الرسول ﷺ – بطول العمر – من يقوم بإكرام المسنين وخدمتهم، وأنه يصل إلى مثل عمرهم ويقضى الله له من يكرمه كما أكرم أولئك المسنين. فيقدر الله تعالى له عمرا يبلغ به إلى الشيخوخة ويقدر له من يكرمه قال العلماء: فيه دليل على طول العمر لمن أكرم المشيخة.

وأولى المسنين بالرعاية بالنسبة للإنسان والداه ثم أقاربه وأرحامه وجيرانه وأصدقاؤه ثم سائر إخوانه المسلمين، الذين يراهم فى حاجة إلى الرعاية والإكرام.

وإذا كانت هناك دور قد ظهرت لرعاية هؤلاء الكبار فإن مثل هذه الدور مع ما تؤديه من رعاية لحقوق أولئك المسنين فإنها لا تعفى الأبناء والأرحام من القيام بواجبهم تجاه أبائهم، وأمهاتهم بل إن الأبناء يجب عليهم أن يقوموا بالبر بالوالدين فقد وصى الله تعالى بهما بعد الوصية بعبادة الله تعالى وحده فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

(١) سورة البقرة ٢٧٣.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) سورة الإسراء ٢٣ – ٢٤.

ويجب على الأبناء أن يبذلوا ما استطاعوا من البر، فلا تغنى دور المسنين عن رعاية البنين، وعاطفة الحنان التى يجب أن تبقى بين الأبناء وأبائهم. وكذلك من الشباب والصغار وبين الطاعنين فى السن من سائر الناس فى المجتمع، لأن الإسلام هو دين الرحمة وأولى الناس بالرحمة هم أولئك الكبار الذين أدوا رسالة فى الحياة وقدموا اعطاء لجيلهم، وليست رعاية المسنين تقتصر على توفير الطعام، والشراب، والمسكن، وسائر ما يحتاجونه من الأمور المادية فحسب بل إن رعايتهم نفسيا، من أهم ما ينبغى أن ننبه إليه فإن كثيرين من المسنين كانوا فى مقتبل حياتهم وفى وقت عملهم يلتف الناس حولهم خاصة من كان صاحب منصب مرموق أو عمل هام، أو وظيفة كبيرة أو عامة فتراه وقت خدمته يلتف الناس حوله ويتفقدون أحواله ويزورونه ويسألون عنه، وعندما تنتهى خدمته، ويحال إلى المعاش لا ترى أحدا من الأصدقاء الذين كانوا لا يتركونه يوما واحدا ولا ترى التفاف الناس حوله، وذلك لأن الكثيرين لا يعنيهم إلا مصالحهم ولم يعد فى يده شىء فينفضون من حوله... وليس هذا من الوفاء الذى أمر الإسلام به، ولا من المروءة التى يجب أن يتحلى بها الإنسان. بل ألاوهن من ذلك أنه قد يحتاج بعد خروجه من عمله إلى بعض الرعاية أو قضاء مصلحة فلا يرى أحدا حوله... إن التنكر للمسنين الذى كانت لهم بصماتهم وكان لهم دورهم فى الحياة أمر خطر، لأنه يقضى على رابطة من أهم الروابط الإنسانية، ولذا كانت الدعوة إلى رعاية المسنين والوفاء معهم أمرا واجبا، يستحق من يقوم به فى شبابه أن يكافئه الله تعالى بمثل عمله فيقضى له من يكرمه عندما يبلغ سن هذا الكبير الذى أكرمه والجزاء من جنس العمل.

❑❑❑